الجمـــهـــورية الجـــزائـــرية الـديمـقـراطيـة الشـعـبية
وزارة التعليـم العالي و البحث العلمي
جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
فرع تاريخ الجزائر الحديث (1519 - 1830م)

الموضوع:

تأسيس روسيا الحديثة في عهد بطرس وكترينا الثانية من 1682-1796

(BATROUS & KATRINA II)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث (1519 - 1830)

من إعداد الطالبة:

❖ دراجي فتيحة

تحت إشراف الأستاذ:

❖ د. حيمي يعقوب

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د. زهار السعيد / أستاذ تعليم العالي .....رئيسا

أ. د. حيمي يعقوب / أستاذ تعليم العالي.....مشرفا

أ. د. بعلوج سليم / أستاذ تعليم العالي.....مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

الشكر والعرفان

الشكر الأول والأخير للجليل رب العرش العظيم الذي مهد لنا السبيل وهدانا لما فيه الهدى والخير للجميع حتى يرضى،

قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفا فكافؤه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له".

تطبيق لهذا الحديث واعترافا بالجميل انقدم بخالص الشكر إلى من تقتصر كل كلمات الشكر وعبارات الثناء من الوفاء بحقهط، إلى أستاذ المشرف "حيمي يعقوب" له الشكر على ما منحني من التوجيه وتشجيع والنصح واهتمام للاتمام هذا العمل في افضل الصورة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي المحترمة على كل ما قدموه لي من العلم وأخلاق من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية.

إلى كل من علمني حرفا

والشكر موصول إلى كل من له الحق علي من علم وتربية وغرس الأخلاق والملادئ والقيم في حياتي.

إهـداء

الحمد لله الذي وفقني لهذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى، مهداة

إلى الوالدين الكارمين حفضهما الله وآدمهما نور دربي اللذان علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والإصرار، ألبسهما الله ثوب الصحة والعافية ومتعني ببرهما ورد الجميل مما أهدي ثمرة من ثمار غرسهما إلى أخواني الثلاثة (حسان، وليد، ريان) سندي وملجئي في الحياة.

إلى جدتي الناصحة الدائمة لي بالعلم وأنه مفتاح كل أبواب وعلمتني الاعتماد على نفسي وأن الابتسامة الدائمة هي سبيل لتخطي كل المشاكل.

إلى كل الأحباب والأقارب الذين ساهموا في وصولي إلى هذا العمل ولو بكلمة أو بدعاء.

فتيحة

قائمة المختصرات

ص: صفحة.

ص ص: تعدد الصفحات.

ط: الطبعة.

د.ط: دون طبعة.

د.ب.ن: دون بلد النشر.

د.س: دون سنة.

ج: الجزء

ع: العدد

مقدمة

إن دراسة تاريخ روسيا الحديثة من المواضيع المهمة في تاريخ الأوروبي والعالمي حيث هذا البلد عرف تحولات كبرى غير مساره من العزلة والتأخر إلى قوة عظمى متغيرة في مجريات الأحداث الدولية، ففي القرن السادسة عشر كانت روسيا لا تزال بعيدة عن التطورات الفكرية والسياسية التي شهدتها أوروبا الغربية حيث غلب عليها الطابع الإقطاعي والبساطة في تنظيم الإداري والعسكري غير أن بروز شخصية "بطرس الأكبر" لم يجد الزمان بأمثله من أعماله ومنجزاته، تركت ضلالها على صفحة من الزمن مديدة أكثر من أربعة قرون عرفت البلاد في فترة حكمه سياسة الانفتاح على الغرب وخروجها من انغلاق الذي كان مفروض عليها تحديث الجيش والأسطور البحري اصلاح الإدارة نشر التعليم والانفتاح على الغرب، وتولت بعده كاترينة الثانية التي سارت على خطواته وسياسته، عززت مكانتها على المستويين الداخلي والخارجي بتوسيع حدودها على حساب جيرانها خاصة الدولة العثمانية وبولونيا. وهكذا أصبحت روسيا مع القرن الثامن عشر قوة أوروبيا كبرى تنافس بقية الدول الكبرى.

1. الإشكالية:

لا يمكن دراسة أي موضوع إلا إذا كان يضمن إشكالية ومنه تتمحور الإشكالية الجوهرية لموضوع دراستي حول: كيف كان لبطرس وكاترينا الثانية دورا في تأسيس روسيا الحديثة من 1682 إلى 1796م وتوسيع حدودها؟

ومن خلال هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

1. ما هي أوضاع روسيا قبل إصلاحات بطرس وكاترينة؟
2. ما هي إصلاحات التي اتبعها بطرس في تأسيس دولته؟
3. كيف تمكنت كاترينة الثانية من توسيع حدود روسيا؟

2. دواعي اختيار الموضوع:

إن اختيار الموضوع عدة أسباب بين موضوعية وذاتية:

فأما عن أسباب الموضوعية تكمن في أهمية دراسة هذا الموضوع بظهور دولة حديثة، أما الأسباب الذاتية لهذه الدراسة كانت فرصة لي ورغبة في دراسة موضوع تاريخي أوروبي من اجل إثراء بالمادة العلمية.

3. المنهج المتبع في الدراسة:

خلال دراستي لهذا الموضوع اعتمدت على المنهج وصفي بوصف أحداث التاريخية لروسيا منذ نشأتها إلى غاية ظهورها دولة.

4. أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع تأسيس روسيا الحديثة في عهد بطرس وكاترين أهمية تاريخية إذ أنها ساهمت في انهيار الدولة العثمانية وظهورها هي كدولة قوية في أوروبا.

5. خطة البحث:

لكي نتمكن من الإجابة على الإشكالية المطروحة قد اعتمدت على الخطة التالية والمقسمة إلى ثلاث فصول، الفصل الأول بعنوان أوضاع روسيا قبل عهد بطرس وكاترينة الثانية، وتوسعات الخارجية لإفيان الرابع، وجرى تقسيمه إلى مبحثين، حيث تناول المبحث الأول أوضاع روسيا قبل الإصلاحات بطرس الأكبر (1682-1725)، وقسم إلى ثلاث مطالب فكان المطلب الأول الأوضاع السياسية، أما المطلب الثاني فكان عنوانه الأوضاع الاجتماعية أما الثالث احتوى على الأوضاع الدينية، بينما احتوى المبحث الثاني على التوسعات الخارجية إيفان الرابع وتضمن ثلاثة مطالب، المطلب الأول يتضمن التوسعات في

الجهة الشرقية فتح إمارة قازان، بينما المطلب الثاني يضم التوسعات في الجهة الغربية حرب لقوانيا والمطلب الثالث إيراث إيفان الرابع.

أما الفصل الثاني تناول اسهامات بطرس الأكبر 1682م إلى 1725م والذي قسمته إلى مبحثين عنونت المبحث الأول بإصلاحات الداخلية وجاءت تحته خمسة مطالب ألا وهي: إصلاحات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، عسكرية ودينية، أما بالنسبة للمبحث الثاني تضمن السياسة الخارجية التوسعية لبطرس، فقسم إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول تضمن الحرب مع الدولة العثمانية (1695)، المطلب الثاني تضمن الحرب مع السويد(1707) والمطلب الثالث يضم الحرب مع إيران (1724).

وفي الفصل الثالث تطرقنا إلى دور كاترينة الثانية (1762-1796) الذي اشتمل على مبحثين فكان عنوان المبحث الأول "إصلاحات الداخلية لكاترينة" الذي احتوى على ثلاثة مطالب: إصلاحات اجتماعية، إصلاحات إدارية قضائية واصلاحات دينية، والمبحث الثاني تحدثنا فيه عن إصلاحات الخارجية لكاترينة التي عرضت في ثلاثة مطالب أيضا فكان المطلب الأول يتضمن تقسيم بولند (1773)، أما المطلب الثاني يتضمن الحرب مع الدولة العثمانية (1774)، وأخيرا المطلب الثالث الذي يضم انعكاسات السياسة التوسعية لكاترينة الثانية.

6.الدراسات السابقة:

هناك اجتهادات سابقة في دراسة تاريخ روسيا منها أطروحة الدكتورة العمري بن سعيد معاضة منصور بعنوان الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال فترة 1121-1220/ 1790-1805. دراسة تحليلية نقدية، مذكرة دكتورة تحت اشراف يوسف بن علي الثقفي.

7.أهم المصادر والمراجع:

يحي جلال، تاريخ أروبي الحديث والمعاصر الذي يعتبر من اهم المصادر المهمة في القرن الرابعة عشر حتى القرن التاسع عشر الذي تكلم عن ظهور روسيا في هذه الفترة، ومن أهم المصادر العربية كذلك نجد زينب عصمت راشد تاريخ الأروبي الحديث التي تحدثت عن أمراء روسيا منذ نشأتها حتى أصبحت دولة.

كما نجد أيضا بلسام عسلي الذي تحدث عن حياة بطرس وزوجته كاترينة.

8. صعوبات الدراسة:

لم يكن دراسة لهذا الموضوع بأمر سهل خاصة أن موضوع يتحدث عن تاريخ دولة أروبية وبالتالي شحة المصادر العلمية باللغة العربية، كما أن ضعف اتقاني للغة الفرنسة وانجليزية كانت عائقا لي في الترجمة.

الفصل الأول:

أوضاع روسيا قبل عهد بطرس الأكبر

1725 /1682

تمهيد:

المبحث الأول: أوضاع روسيا قبل الإصلاحات بطرس الأكبر (1682- 1725)

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية

المطلب الثالث: الأوضاع الدينية

المبحث الثاني: التوسعات الخارجية لإيفان الرابع

المطلب الأول: التوسع في الجهة الشرقية فتح قازان

المطلب الثاني: التوسع في الجهة الغربية حرب لغونيا (LIGWANIA)

المطلب الثالث: إراث إيفان الرابع

تمهيد:

كانت روسيا في العصور الوسطى جزء من الإمبراطورية المغولية 1240-1480 المعرفة بالقبائل لمسكوف الذين يرجعون إلى سلالة السلافية[1] المنتشرة في شرق أوروبا، مثلوا إمارات مستقلة تعمها الفوضى وعدم الاستقرار، بسبب وليدة الظروف الموضوعية والعوامل التاريخية التي شهدتها خلال هذه الفترة، حيث كانت أكثر دول التي دفعت جزية الاحتلال البربري التتري[2]، وذلك لقربها المنبع الأساسي لهذه القبائل التي كانت تقنط في الجهات المغولية والصين، مما جعلهم يتأثرون بالحضارات الأسيوية، مما استغرق وقتا طويلا في سبيل ظهور روسيا كدولة أروبية حديثة، واحتكاكها بالشعوب الأسيوية البدوية التي أكثر شعوب تأخر خلال هذه العصور، اختلاف في اعتناقها المذهب الأرثدكسي عن دول الأروبية التي كانت عقيدتها كاثوليكية ما جعلها تعيش في عزلة تامة عن العالم المتحضر[3].

وما زاد من السوء روسيا موقعها الجغرافي الذي جعلها محاصرة من كل الجهات، من الشمال كانت السويد (Sweden) تسيطر على بحر البلطيق والملاحة فيه، ومن الغرب بولندا القوية التي كانت تعارض أي امتداد روسي في تلك الجهات، ومن الجنوب فرض عليها الحصار من طرف الدولة العثمانية فكانت عدوا تقليديا ومكروها شديد الكراهية لدى الروس لا بسبب الخلاف في الدين، وإنما أيضا لأن العثمانيين هم الذين استولوا على القسطنطينية مقر البطريك الأرثودكسي، وكانوا يسيطرون على أراضي البحر الأسود، وبالتالي من المستبعد أن

[1] شعوب تسكن بين جبال الأورال والبحر الأدرياني في أوروبا الشرقية والوسطى، أنظر: مولا الموسوعة العربية المسيرة، ج3، دار النشر، دار أحياء التراث العربي، 1970، ص 390.

[2] اسم عام يطلق على شعوب اكتسبت أجزاء من اسيا وأوروبا بزعامة المغول في القرن 13 وسقطت في أيدي العثمانيين وهم يتكلمون لغة من أصل تركي، ويعتنقون معظم الإسلام، للمزيد انظر مولا الموسوعة العربية المسيرة، المرجع نفسه، ص 926.

[3] علي شعيب، قيصر روسيا بطرس الأكبر، ط1، دار النشر، بيروت، 1995، ص ص 4 -10.

يفتحو طريق بين الروس والبحر الأسود، فلم يكن لروسيا سوى ميناؤها الوحيد أركانجل[1] الذي كان مغلقا أكثر من نصف العام بسبب الجليد، كل هذه العوامل جعلت روسيا تتحكم فيها مفاهيم القرون الوسطى في شتى المجالات السياسية، الاجتماعية والدينية[2].

[1] مناء على البحر الأبيض المتوسط سمي بهذا الاسم نسبة إلى الملك ميخائل تفاؤلا بدخول النصرانية إلى بلاد الروس ولم يعرف بهذا كإقليم إلا في القرن السادس عشر، للمزيد أنظر مولا، المرجع السابق، ص 477.

[2] عاصمة روسيا، تقع على نهر موسكو وهي أكبر مون روسيا، للمزيد أكثر مولا موسوعة العربية، المرجع السابق، ص 1779.

المبحث الأول: أوضاع روسيا قبل الإصلاحات بطرس الأكبر (1682- 1725)

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

كانت روسيا مقسمة إلى عدة مقاطعات متنافرة فيما بينها، بعضها تحت حكم أمراء روس مستقلين وبعض الآخر تحت سيطرة البولندية الليتوانية لم تكن تشكل أي كيان سياسي واضح، إلا بعد انهيار الإمبراطورية المغولية بحيث لم يعد العدو المغولي يشتبك معه في قتال وكان ذلك نصرا تاريخيا عظيما للإمارات الروسية، فسمحت أمم فرصة لتحقيق حرياتهم وتمكنوا من توحيد صفوفهم مكونين بذلك دولة مقرها موسكو[1] في عهد إيفان الثالث (Ivan III) (1462-1505)[2]، لتبدأ نمو النواة الأولى للامبراطورية الروسية في 1462.

كانت دوقية موسكو تقع وسط سهول واسعة ممتدة في جميع الاتجاهات، فكان من صعوبة إيجاد حدود طبيعية تقف عندها فتوجهوا إلى الشرق فعبر الروس جبال الأورال وتوغلوا في سبيريا وقاموا ببناء المدن وممارسة اعمال التجارية مع الفرس والأفغان والاختلاط بهم، حيث أصبحت موسكو عاصمة للمسكوفين مليئة بالفرس والأفغان والهنود، ما أدى إلى انتعاش البلاد ماديا.

وبسقوط القسطنطينية[3] في أيدي الأتراك العثمانيين عام 1453 علامة على نهاية الإمبراطورية البيزانطنية، فانتهز إيفان الثالث الفرصة وبادر بالزواج من الأميرة صوفيا[4] إبنة

---

[1] أول من حمل لقب القيصر تم على يديه توحيد معظم الإمارات الروسية تزوج من بنت الإمبراطور "قسطنطين باليولوج" مما جعله يعتبر روسيا حامية المذهب الأرتدوكسي بعد سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين، للمزيد أنظر: مولا، المرجع نفسه، ص 130.

[2] محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة الثورة الفرنسية، ط3، 2011، ص 77.

[3] عاصمة الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من 230 إلى 390، وعاصمة الدولة البيزانطية من 390 إلى 1453 فتحها محمد الفاتح وأطلق عليها اسم (إسلام بول)، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 1370.

[4] الأميرة صوفيا اسمها الحقيقي زوى ابنت الإمبراطور القسطنطين الخامس باليولوجوس دعم البابا زواجها من إفيان الثالث أملا في توحيد الكنائس اليونانية واللاتنية، إلا أن الأمل لم يتحقق في روسيا بل قام بتغيير اسمها إلى صوفيا باعتبار اسمها اليوناني متعلق باسم البابا، أنظر مولا، المرجع السابق، ص 130.

شقيق آخر أباطرة بيزنطة باليولوج القسطنطين الحادي عشر[1]، وأعلن حقه في كثير من صفات ورموز الإمبراطورية وفي الحال أطلق على نفسه لقب القيصر السيد المختار من الرب وملك كل روسيا، وبعد هذا أصبح امراء موسكو الكبار يعرفون بلقب قيصر، وقد تعززت سلطة أمير إيفان الثالث بظهور إمارته دولة موحدة مركزية، حيث كانت قوات الوحدات السياسية تتجمع فيها، فتولدت له رغبة السيطرة والحكم فأراد الحد من سلطة النبلاء والأمراء الروس وتوسيع حدود الأراضي الروسية، فرض عليهم أن يقوموا بخدمة موسكو عسكريا، إلا أنه حدث اضطراب وصراع بينه وبين أمراء روسيا فمنهم من فرض موسكو فقلص حقوقهم ومصادرة ممتلكاتهم، في بعض الأحيان يخلق طبقة عسكرية جديدة باسم نبلاء الخدمة[2].

رغم هذه الإجراءات إلا أنه حدث التمرد الكبير في إمارة نوفجوردي التي تعد أقوى مركز تجاري في الأراضي الروسية، إذا كانت تسيطر على المناطق التي تحيط بها مباشرة، وكذلك موقعها على طرق واسعة في شمال روسيا تمتد شرق حتى جبال الأورال، كانت تفوق موسكو اقتصاديا شجع إيفان هذا السوق المزدهر، ولكن حدث تمرد كبير في هذه الإمارة من طرف شعبها، حيث أدركوا انهم قادرين على تخلص من سلطة أمير موسكو، وعندما علم إيفان بهذا الأمر أرسل إليهم جيش قوي على ضفاف نهر شيليون عام 1471، وقد غادر الأمير كازمير ميخائل وقواته من المدينة، واستطاع إيفان تحقيق النصر ودخولها وقتل الكثير منها الأشراف وأرسل آخرين كأسرى إلى موسكو فخضعت إمارة نوفجورد ودخلت في طاعة موسكو[3]، ومن خلال زواجه من صوفيانصب الروس أنفسهم كورثة شرعيين للإمبراطورية البيزنطية، حيث

[1] باليولوج: قستنطيني الحادي عشر آخر الأباطرة البزنطيين (1453)، نادى بالاتحاد بين الكنستين الغربية والشرقية خلال حكمه سقطت الاقسطنطنية في أيادي الأتراك، للمزيد أنظر مولا، المرجع السابق، ص 1370.

[2] محمد سعيد عمران، المغول وأوروبا، دار النشر دار العرفة الجامعية، 1997م، ص 195.

[3] أحمد محمد أحمد علي، جهود الأمير الأكبر إيفان الثالث في التخلص من التيار المغولي، الاشراف الأستاذ زبيدة عطا، كلية الأداب، جامعة بن يوسف، 2019، ص 6.

اقتبس إيفان نظريات الحكومة والأعياد والمراسيم البيزنطية لم يتسامح مع إيفان الثالث (Ivan III) مع الفكر الحر، وقف ضد كل نوع من الحرية الشخصية، كما أنه لم يطيق صبر بتوسيع حدود أراضي روسية واسترجاع إمارة كييف[1]، أي كانت تابع لبلاد ليتوانيا فكان خائفا من أن تهدد من سلامة موسكو فقام بإخضاعها عام 1482.

كان أهم ما يحلم به إيفان الثالث هو مد حدود بلاده واشراف على البحر باعتباره منفذ بالاتصال بالعالم الخارجي، إلا أن المنية وافته قبل أن يحقق حلمه، عرفت فترة حكمه باتساع حدود روسيا قدرت مساحتها بتسعة عشر ألف ميتر مربع، وأضاف أربعة ملايين فرد إلى سكانها، ظل النسل إيفان الثالث يتعاقب على العرش موسكو مدة ثلاثة أجيال متولية، خلفه ابنه قاسلي الثالث (Basil III) (1033–1505)[2] الذي وصل سياسة أبيه في تقوية الحكم المطلق وتوحيد مختلف الإمارات ممتلكاته، كما حاول جاهدا لتوثيق العلاقات بالغرب، إلا أن هذا لم يظهر بوضوح إلا في عهد إبنه "إيفان الرابع" (Ivan IV) (1533–1548) الملقب بالرهيب[3]، ابن قاسلي تولى العرش لم يتجاوز سن الثالثة من عمره، وحكمت والدته يلينا غليسايا باسمه حتى وفاتها بالسم في عام 1538، وقد عاش إيفان حياة قاسية فشهد في طفولته الفزع والرعب والكدائس التي كانت منتشرة بين العائلات الارستقراطية المعرفة باسم البويار، فأثرت هذه الصراعات في حياته، حيث ارتكب مجزرة في سنة 1533 من المقربين له بسبب خلاف بينهم، كان لا يأخذ الشفقة والعاطفة في المعاملة، كما أن اتصف بصفات أروبية أخرى مثقف شجع الفنون، ابتدأ إيفان حكمه على الصعيد داخلي بتنظيم الإدارة المحلية والمركزية بفرض سلطته الشخصية الفردية وسلطة عائلته، وليس سلطة الدولة وذلك من أجل الحد من سلطات

[1] عاصمة أوكرانيا تقع على أعالي الدينير، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 147.

[2] قاسلي الثالث نجح في تضييق الخناق على سلطة الأشراف، كما عرفت روسا في عهده نوع من الانفتاح على الغرب، للمزيد أنظر: سليم حسين، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، ج1، ط2، دار النشر، القاهرة، 1920، ص 245.

[3] سليم حسين، تاريخ أوروبا الحديث وأثار حضارتها، المرجع نفسه، ص 239.

الأرستقراطية للأمراء البويار الذين حصلوا على ممتلكاتهم على أساس الوراثة فإضطهدهم وشتتهم وقتل كثير منهم[1].

قام إيفان بتكوين طبقة من النبلاء تدين بكل شيء له ما يسمى المجلس المختار، هي هيئة استشارية تمت فيها جميع الإصلاحات تحت رعايتها، وفي عام 1547 اتخذ إيفان لنفسه لقب القيصر باعتباره حفيد صوفيا الأميرة البيزنطية لقد قام بأعمال عمرانية، استخدم المهندسين الألمانيين لبناء موسكو الجديدة، كما قام بانجازات عديدة منها، دعى العلماء والصناع أروبا إلى روسيا، وأعطى لهم الهدايا الثمينة بهدف استفادة من خيراتهم، ومد الجسور التواصل مع العالم الخارجي، شجع الفن العمراني وشرع في تجميل مدينة موسكو، عزز التجارة بعقد معاهدة تجارية مع الملكة إليزابيت الأولى ملكة إنجلترا الإنجليزية، عرفت فترة حكمه بنمو اقتصادي[2]، عمل أيضا على تقوية الجيش قام بتنظيم المدفعية وسلاح والفرسان، شيد مدن جديدة على حدود، أما على الصعيد الخارجي قام بحروب توسعية بنتيجتها تصبح روسيا مترامية الأطراف، ويسعى لربطها ببحر البلطيق والقزوين، في عام 1552 حصار ولاية قازان[3] التي كانت تابعة لحكم بقايا المغول واسقاط قبيلة القازانية، ارتكب فيها مجازر جماعية، وفي عام 1454 تمكن من استلاء على استراخان[4]، وأصبح بذلك نهر الفولجا قناة روسية بحيث تسهل الوصول إلى بحر قزوين ومهد الطريق للتوسيع الروسي إلى ما خلف جبال الأورال، حاول شن الحروب مع بلدان أوروبا خاصة ليتوانيا وبولندا إلى أنه فشل في ذلك.

[1] طه عبد الناصر رمضان، روسيا في عهد إيفان الرابع، موسوعة الجزيرة، ص 10.

[2] حيدر ياسم، تاريخ الإمبراطورية الروسية، ط1، ص 23.

[3] مدينة روسيا في اتحاد السوفياتي حاليا وهي تقع على نهر الفولغا وعلى جمهورية التتار وكانت مركز إمارة تحمل اسمها، للمزيد انظر: مولا، المرجع السابق.

[4] مدينة روسيا (من مدن الاتحاد السوفياتي) تقع في جزيرة في بحر قزوين وميناء على مهب نهر الفولجا كانت مركز إمارة تحمل اسمها وتشتهر بثروتها بالغراء للمزيد أنظر: مولا، المرجع نفسه، ص 412.

بعد وفاة إيفان الرابع في عام 1584 انتهى عهد الاستقرار، إذ دخلت روسيا في فوضى عارمة واضطرابات وحروب أهلية استمرت حتى سنة 1613، نجمت عن وفاة آخر قياصرة الأسرة المالكة عام 1598 دون أن يخلف وريثا على العرش، مما دفع إلى تدخلات أجنبية من السويد والبولند إلى تدخل في شؤون روسيا السياسية والعسكرية للاستيلاء على العرش الروسي، وقد صاحب هذا التدهور انتشار البؤس في روسيا ففي عام 1601 قلت المحاصل الزراعية وشاعت المجاعة وعمت الفوضى والانحلال، إلا أن نهض الروس مرة أخرى وعينو قيصر من أفراد أسرة رومانوف[1].

بدى أنه كان مقبول من كافة الأطراف، وهكذا أصبح ميخائيل رومانوف (Mikhail Romonva) قيصر والأب الروحي والمؤسس الحقيقي للأسرة الحاكمة في روسيا، منذ توليد في أوائل القرن السابع عشر الميلادي حتى قيام الثورة الشيوعية 1917، حيث تمكن من جمع شتات روسيا مرة أخرى وصرف جل اهتمامته على الاصلاحات الداخلية ومنها الكنيسة الأرثوذوكسية لما وصل إليها من التخلف والاضطراب، قام بدعوة البابا ومعظم ملوك أوروبا لتحزب ضد العثمانيين الكفارة داعيا لعالم المسيحي، إلا أن هذه الدعوة لم تستجيب لأنها تعتبر إرهاسات أولية لتوجهات روسيا ونظرتها إلى العثمانيين، وفي عهد ابنه اليكسي اضطرت بولندا أن تتخلى لروسيا عن كافة الأراضي المتاخمة في الدينبر، ومع ذلك فإن روسيا لم تظهر كقوة خارجية والاستقرار الداخلي ويكون لها تأثير دولي وثقل سياسي إلا في عهد بطرس الأكبر (1682- 1725)[2]

[1] عائلة روسية حكمت روسيا في الفترة (1613- 1763) ومؤسس حكمها هو ميخائل رومانوف، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 422.

[2] مظفر براهيمي، تاريخ الأوروبي الحديث، المرجع السابق، ص 79.

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع الروسي قبل بطرس لا يمت بصلة المجتمع الأوروبي، إذ كان لروسيا أسلوبها الخاص في الحياة وطريقها في التفكير وظروفها التاريخية، كان يسودها الجهل الاجتماعي المشبع بالخروفات مؤمنين إيمانا مطلقا بالسحرة والمشعوذون، أسياد المجتمع كانوا يضنون أن المطر وكسوف والخسوف ما هي إلا أفعال الشياطين، وليست ظواهر طبيعية، وهذه الأشياء قد تجاوزها الأوروبيين منذ القرن الرابع عشر، كما أن من العادات المجتمع الروسي الاختلاط بين الجنسين ممنوع بات حتى بين الأرستقراطية وسكان المدن، حيث كان النساء في عزلة تامة، قد خلت حياتهن من البهجة الاجتماعية لبسهن يقتصر على الحجاب الطويلة، كما أن من سلوكيات الروسيين يدمنون المشروبات الكحولية ويسرفون في شرب إلى حد فقدان الوعي أمام الناس، وفي صباح عليه أن يستغفر لما قام به في اليوم السابق، فالسكر رجولة الاستغفار رجولة أيضا، ومن الصفات الرجل اطلاق لحية طويلة كثيفة ويلبسون ملابس فضفاضة مزركشة وملونة[1].

أما التعليم كان مقتصر على بعض المدارس الإدارية لم يتعلمون أي فن أو علم أو يأخذون أنفسهو بأي لون من ألوان الدراسة، لم يكن للفن والآداب وجود في روسيا، فكانت مواضيع الفنان هي رسوم السيد المسيح والسيد العذراء والقدسيين، لم يعرف أحد بحرية الفكر في ذلك القطر الذي عمته الأمية ومع التعليم اللغة اللاتينية ووقفوا في وجه كل من له فكر مغير لهم، فقد كانت لغة سلاطين بدائية تستخدم بشكل خاص داخل مجتمعهم، كما أن لدى الروسيين بعض أنواع التسلية البدائية، فقد كانوا يحبون لسماع القصص الشعرية والأناشيد ينشدها الموسيقي الأعمى، أو يتشدق بها القصاص المتجول، كانوا يبهجون لرقص والمزاح

[1] هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط3، دار المعارف لنشر، مصر، ص 362.

والقصائد التي تحكي سير أبطالهم[1]، وقد وصف أحد المعمارين لحالة المجتمع الروسي في ذلك العصر "إذ تمعن الفرد في طبيعة حياة المسقوفين وأساليبهم اضطر إلى التسليم بأنه لم يجد شيئا آخر يفوق ذلك الشعب الروسي الفارق في همجية الشرق وظلامه"، حيث كانت العدالة تشترى وتباع علانية ووصول إلى السلطة بالرشوة، ولم تكن الضرائب إلا لونا من اللصوصية[2].

وقد بلغ في تأخر البلاد في المجال الاقتصاد، كما أن صناعتها وتجارتها كانت في اليد القيصر، حيث لم يكن هناك نظام لروسيا حريصة على اعتزال الأجانب، فكان القيصر يجلد أتباعه، كما كان هؤلاء وملاك الأراضي يجلدون خدامهم من العبيد والرقيق الأراضي، زوج لزوجته، الأب لأولاده، وقد صاحب هذه العادات السيئة في المجتمع القسوة في أبشع صورها وكراهية الراسخة لكل ما هو جيد من الغرب مهما انعدم ضرره[3]، كانت الزراعة والرعي من المهن الرئيسية لديهم خاصة القانطين في الغابات والسهوب وأهم زراعتهم القمح، الشوفان والشعير، في حين كان الصيد السمك وجمع العسل البربري في الغابات من المه ن الثانوية، كانت وسائل العمل بدائية فكانوا يحرثون حقولهم بمحارث الخشبية ذات أسنان حديدية، مستعملين ماشية العمل من الخيل والثيران.

كانوا يربون الحيوانات الأليفة مثل الخيول والأبقار والغنم، الخنازير، الدجاج، الكلاب، الصقور لصيد، كان هناك تباين كبير بين طبقات المجتمع، بينما كانت النخب تعيش في رفاهية كان الكثير من العمال والفلاحين يعانون من الفقر المدقع، حيث كان النبلاء وكبار الحكم يفرضون على الفلاحين أشد ضرائب ويفرضون عليهم اقسى القوانين على أن يرتبط بأرضه وأن يصبح مجرد عبد بل وعلى ان يصبح مجرد سلطة يتدولها كبار الملاك.

[1] هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، المرجع السابق، ص 365.

[2] جلال خشيب، أفاق الانتقال الديمقراطي في روسيا، دراسة نقدية في البنى التحتية، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س)، ص 11.10

[3] بيقانو وقيدو، تاريخ إتحاد السوفياتي، (د.ط)، (د.ب.ن)، ص 28.

كان النظام الاجتماعي مجتمعا قبليا لا مركزيا تم تنظيمه على شكل عوائل كبيرة كانت تدير الاقتصاد اجتماعيا في الأراضي التي تزرعها[1].

المطلب الثالث: الأوضاع الدينية

تعتبر الأوضاع الدينية في روسيا خلال العصور معقدة ومتنوعة، حيث تأثرت بتفاعلات عدة ثقافات وأديان كان المسكوفين يعبدون عدد كبير من الآلهة القبائل الصغار، لم يكن لديهم ديانة منسجمة موحدة، إلا أن تولى فلادمير الثالث السلطة الكنيسة، حيث اعتبر الديانة الوثنية تمثل بقايا النظام القبيلي، فأصبح الأرثدوكسية الدين الرسمي لدولة لاعتناقه لهذا الدين وزواجه من شقيقة الإمبراطور البيزنطي، قام بتحطيم جيمع الأصنام ودخول روسيا في المسيحية عام 989م، وقد أصبح فلاديمير فيما بعد قديسا للكنيسة الارثدوكسية وأصبحت هذه الأخيرة ترتبط بالدولة ارتباطا وثيقا، كان يهدف إلى تعزيز هيبة رجال الكنيسة فانشأ الكنائس والأديرية ومؤسسات لتعليم الدين، فثمة كثير من أبناء فئات المجتمع العليا دخلت الأديرة[2]، ومن جانب آخر كانت الحالة الاقتصادية للكنيسة في تحسين دائما فقد كان عشر دخل دخل سكان روسيا كلها تذهب إلى الكنيسة، فضلا عن تقديمات من طرف الوجهاء والأقطاعين، وسرعان ما تحولت الكنيسة الروسية إلى مؤسسة اقطاعية كبيرة جدا، حيث استولى رجال الكنيسة على المزيد من أراضي ذات العدد الكبير من القرى والفلاحين التابعين، وكان القساوسة يجمعون الأموال من المؤمنين أجرا على تأديتهم لطقوس الدينية. التحميد، الدفن كانت تبرز نفسها كمؤسسة إقطاعية مستثمرة[3].

[1] خير الدين باشا التونسي، أقوال المسالك في معرفة أحوال الممالك، د.ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص 268.

[2] أسامة عونان يحي، تاريخ روسيا من الوثنية إلى المسيحية، ط1، (د.ب.ن)، 2019، ص 74.

[3] أحمد فاضل، الأديان في تاريخ شعوب العالم، د.ط، الأهالي للتوزيع والنشر والطباعة، دمشق، 1998، ص 219.

شهد القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادين تزايد الارتباط بين السلطة والكنيسة، خاصة بعد بروز أمراء موسكو وكانت كراسي الأسقفة تؤدي وظائف قضائية، وبحلول عام 1550م كانت الكنيسة الأرثوذكسية قد تعززت في روسيا وبدت كأنها جزء أساسيا من الهوية الثقافية والسياسية لدولة، إلا أن دورها الوحيد هو تمجيد وتقديس الحكومة الروسية، واظهارها بأنها حكومة الرب والحامية للأرثودكس في العالم، لهذا لم يكن الشعب الروسي مرتبطا بها، بل ولم يكن يرجو منها شيئا ولاسيما الفلاحين، إذ لم تسع الكنيسة إلى تقديم أي شيء لهذه الطبقة المسحوقة في المجتمع، ولم تدخل إلى نفوس الناس كتقاليد اجتماعية، كما فعلت الكنيسة الكثولكية في القرن السابع عشر كانت تقول لناس ان من يحب الهندسة يكرهه الله وعلم الحساب علم شياطين يجب أن لا يتعلمه المؤمن ولم تكن هناك عقود مكتوبة بين الناس كما هو شائع في أوروبا الغربية[1].

[1] عبد الهادي عباس، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، وزارد الثقافة للنشر، (د.ب.ن)، 1999، ص 110.

المبحث الثاني: التوسعات الخارجية لإيفان الرابع

المطلب الأول: التوسع في الجهة الشرقية فتح قازان

قازان منطقة واقعة ضمن سهول نهر الفولفا يرجع تاريخها إلى نصف الثامن من القرن الميلادي، وسكنها أكثر من مليون شخص، كانت في القرن العاشر والثالث عشر مستوطنة تجارية محصنة أسسها التتار بعد سقوط الدولة الذهبية المغولية في نهر الفولجا، وبقدوم المغول المسلمون وفي القرن الخامس عشر أرجعوها مدينة بلغاريا محاطة بالخنادق والأسوار والحواجز تشد من التركستان تحت روسيا وسيبريا، بل حكمو مسكو ولم يكن أمير موسكو يعين في منصبه إلا بعد موافقة حكيم إمارات قازان، ثم أصبحت عاصمة لهم ومركزا سياسيا وعسكريا وإداريا وتجاريا وثقافيا، أصبحت دولة إسلامية سنة 840هـ/1438م، وحكمها محمد أولغو الذي حاول استعادة أملاك أجداده من حكم قبيلة ذهبية، إنهم في حالة من إنقسام والتفتت في القرن السادس عشر، فقد أصبحوا غير قادرين على احتفاظ بضفاف نهر الفولجا الغابية ولا يزالون غير قادرين على الصمود في الميادين القتال، أصبحوا تجار مغامرين ذو أثياب رديئة دون أية بارقة من طموح السياسي[1].

وكان الشعب يعشون فقط على نتاج الماشية والتغذي، ولكنهم أعلنوا استسلامهم لإيقاف "فهو عاهل سنعيش في ظله، فلم ينجح أولغو محمد في توحيد القبيلة بسبب الظروف السياسية اضطراب، بحيث كانت نهضة روسيا في يد القيصر إيفان الرابع الذي اتبع السياسة التوسيعية بتوسيع أراضي روسيا بنتيجتها لتصبح امبراطورية مترامية اطراف، فقام محمد أولغو من بمذبحة كبيرة للتتار دعى إليها كبار الوجهاء في قازان، ثم قام بذبحهم وكان عددهم سبعين شخصا، وعندما وصل الخبر إلى إيفان الرهيب دون أن يخفي احتقاره لهذا العمل أرسل مستشار أردشيف

[1] بطرس بستاني، دائرة المعارف في العالم، د.ط، المكتب العربي الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 58.

إلى قازان ليقول لمحمد أولغو إن موسكو كانت تعرف تماما أن سكان قازان البائسين، عاجزون من حكم أنفسهم، وأن القيصر ينوي لقدوم عما قريب للاستلاء على المدينة، ويمنحها حمايته الجليلة فعين القيصر إيفان الرابع الأمير ميكو لينسكي حاكما على قازان[1].

تقدم السكان للقاء أمير ميكو لينسكي عند ضفاف نهر الفولجا وقدموا له احترام مع اظهارهم لقبولهم هذا الحكم، وما لبثوا أن فكروا بالمقاومة بكل الوسائل التي تقع تحت تصرفهم بأسوار والدافع في عام 20 مارس 1553م، قام إيفان باجتماع عام في المجلس البويار أين أعلن عن عزمه لإنتهاء من قازان، وقال في تصريحه "إن الله قرأ ما في قلبي، فأنا لا أريد مجد أرمنيا ولكنني أريد مسلاما للمسيحية، كيف يمكنني أن أردد في صلواتي هذه العبارة: (أنا والشعب الذي أعطاني إياه)، إذ يجب علينا انقاذهم من ضراوة أعدائنا، تم تجهيز جيش قوي من القربينات أي الذين يطلقون النار، وعدد آخر من الفلاحين الذين شاركوا للمرة الأولى في حروب الروسية، ثم يأتي المدافعون مع مدافعهم فحاصروا قازان بحصن واسعة بما يكفي الكفاية ليؤوي كل شعب في خطر، وعندما دخلوا إلى المدينة وجدوها خالية على عروشها يخيم عليها الصمت بالغا حتى ضنوا أن سكانها قد ماتوا أو ألاذوا بالفرار، إلا أنّ التتار فجأوا الروس لما دخلوا إلى القلعة، فكان نصف مقاتل التتار يقفون وراء أبواب الحصن الحديدية السمكة، وكانوا مؤلفون من خمسة عشر ألفا رجل ذو العظلات المقتولة، وفجأة انفتحت الأبواب واندفعوا جماهير موزعين وفي أياديهم سيوف المقتولة وتطلق صرخاتها المرعبة، أما حملة القربينات الروس فقد مالهم الذرع والهول وطاش صوابهم من مفجأة الهجوم، ومن صراخ العدو فلاذوا بالفرار فأصبحت الشوارع بدمائهم جودة أحمر[2]، دون أن يقاوموا حتى غدوا خارج المدينة، إلا أن إيفان ومجلس البوبار شجع القربينات على استمرار وعدم فشل وتمكن من القبض على عدد من الأسرى.

[1] إسلام محمد بن سعود، الموسوعة الجغرافية، ج14، منشورات جامعة الإمام للعالم الإسلامي، (د.ب.ن)، 1999، ص 313.

[2] جاسم محمد حيدر، المرجع السابق، ص ص 24-30.

كما أمر إيفان حاكم قازان أن يدعو سكان المدينة بالاستسلام أو الموت لأن قازان لم يكن أمامها أية فرصة للنجاح، فقام بقطع امتداد الماء وانتشار وباء الأسقربوط فمات كثير منهم وأسلم الناجون أنفسهم فسقطت مدينة قازان في أيدي روسيا، كان انتصار لأمة الكنيسة وأصبحت المقر المسيحي لأرض الفولجا والشرق كان فرحا قوميا كبيرا[1].

المطلب الثاني: التوسع في الجهة الغربية حرب لغونيا (LIGWANIA)

بعد تأمين ضفتي نهر الفولجا، استعد لحملة للشق طريق إلى بحر وهو أمر مصدر قلق أنذاك، لأنه إدراك أن التجارة مع أوروبا تعتمد على حرية الوصول إلى بحر بلطيق وحول انتباهه غربا حول إمارة ليونيا التي كانت قد كفت منذ زمن طويل عن الوجود كمنطقة جغرافية، فقد أصبحت ولاية تتألف مما يعرف اليوم بروسيا الشرقية، من جزء لاتقيا ومن استونيا وكان فيها نواة من أغنياء التجار يقيمون في ريفا ودروبات، وكان سكانها من الفنقين وألمان، لكن الروس كانوا يطلقون عليهم اسم الألمان دون التميز وكانت إدارتها متراخية ضعيفة من الناحيتين السياسية والعسكرية، كما كانت ثرواتها التي لا يحميها أحد تشكل إغرام لجيرانها، فإنتبها إيفان الرابع باستلاء عليها بإرسال مستشار ألكسي أرداتشيف بأنهم لم يدفعو جزية، فوجئ الليقونيون ولم يفهموا هذا المزاح، لأنهم لم يدفعوا من قبل هذه الجزية ولم يسمعوا عن الجزية التي تدفع لدوق موسكو الكبير، فرخصوا وأخيرهم أن إيفان الرابع إذا لم يدفعوا الجزية سيعلن عليهم الحرب فلتمسوا مهلة رأفة بهم واعدين بأن يسدد بعدها كل ما يطلب منهم بعد شهرين[2].

ولكن عندما حان وقت دفع الجزية جاء السفراء الليقوايين إلى الروس يحملون الهدايا إلى إيفان دون أن يحملوا الجزية فرفض القيصر هداياهم، وأقام لهم عشاء وأولهم الوليمة الفاخرة

[1] عزيزة فوال بابتي، موسوعة الإعلام العرب والمسلمين، ص 344.

[2] محمد فريد وجدى، دائرة المعارف القرن العشرين، المملكة العربية السعودية للنشر والتوزيع، بيروت، 1917، ص 310.

المعتادة في مثل هذه الظروف، لكنه كان يهزأ منهم لأنه أمر بألا يقوم إلى السفراء إلا العشاء لا لحم فيها ولا دهن، ولابد أن التسلية على حسابهم كانت مشوقة، كما قام بتعين عند الحدود الليقوانية أربعين ألفا من الجنود يكادون كلهم أن يكونوا من الشراكسة وصفات السلب والنصب تبدوا عليهم، وعندما عاد السفراء الليقوانيون من الروس هجموا عليهم في طريق، ودخلوا إلى ليقوانيا فقاموا بمذبحة كبيرة وسيطروا على غنائم كثيرة لأنها بلاد غنية صالحة لنهب[1].

بدأ إيفان مع جيشه بالغزو في 23 ديسمبر 1557م فإجتاح الجيش القيصري البلاد في الجنوب والغرب ولم يحاول الروس أن يستولي على المدن المحصنة، بل أحال إلى رماد التجمعات السكانية الهامة مثل مارينبورغ والتنهون ونيلهاوس وحرقوا المزارع والقرى، وعملوا رجال والنساء وأطفال بالعنف والقسوة البالغة، واندفع جزء من الجيش نحو الشمال حتى سواحل البلطيق، عاد الغزاة من هذه الحملة محملينا بالغنائم، أما القيصر إيفان الرابع فقد أبدى موافقته على الطريقة التي عمل به جيشه الليقوانيون، قال أن الحملة كانت لها شعبتها لأنها حملة تأديبية غايتها اقناع ليقوانيون والتجار وسيدهم الكبير أنه سيكون من الأسلم لهم أن يتفاهموا ويدفعوا ما عليهم من الجزية عن اليد وهم صاغرين وهكذا تمكن إيفان الرابع من استلاء على الليفوانيا[2].

المطلب الثالث: إراث إيفان الرابع

خلف إيفان الرابع إرثا قويا ومتناقضا حتى لقبوه بـ "الرهيب" يثير الإلتباس، ففي اللغة الروسية تعني كلمة مذهل أو قوي، بدل من مجنون لأنه كان محبا لسفك الدماء والانتقام من كل أحد يقف في طريقه، فقد قتل أبناؤه في سنة 1580م وسمي أيضا بالفضيع لما شهد عصره من فضائع، واضطهد النبلاء الذين حكموا البلاد مدة طويلة، عمل الشعب بالقسوة والعنف، ففي

[1] محمد فريد وجدى، المرجع السابق، ص 316.

[2] يوحنا أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ دهور، ط2، دار النشر، بيروت، 1905، ص 110.

فترة حكمه زعزع استقرار الاقتصاد وتدمير الأراضي الخصبة من خلال السياسة الخارجية الحربية، ولكن رغم شهرة إيفان الرابع كحاكم مصاب بالجنون العظمة ومتقلب المزاج[1]، إلا أنه ساهم في إعادة تشكيل البنية السياسية لدولة روسيا، نقل السلطة إلى رأس الدولة القيصر، هو لقب لم يمنح من قبل لأمير في أراضي روسيا، وهو الحاكم الأعلى لروسيا القيصرية ثم الإمبراطورية الروسيا لاحقا، كان كاتبا بارعا شجع التطور الثقافي وعزز مكانة روسيا في الشرق، أشرف إيفان الرابع أيضا على انتصارين اقليمين حاسمين على فترة حكمه، الأول كان هزيمة حشد القرم، مما أعاد الأراضي الجنوبية إلى الحكم الروسي، أما التوسع الثاني قاد حملات استكشافية إلى أراضي سيبيريا[2] التي لم تكن خاضعة لحكم الروسي من قبل بين عامي 1577 و1588م، توصلت العديد من المناطق السيبيرية الجديدة إلى اتفاقية مع القادة الروسيا، كانت أفعاله موجهة نوح إجبار روسيا على الخروج من العزلة ودخول إلى أوروبا، أبرم إيفان الرابع اتفاقية تجارية قوية مع إنجلترا، ترك مملكته أكثر مركزية من الناحية الإدارية والثقافية، إلى أن وفاته المنية واستمر بطرس الأكبر على خطته فيما بعد[3].

[1] جون كين، الحياة الديمقراطية وموتها، د.ط، بيروت، (د.س)، ص 212.

[2] سيبيريا: منطقة شاسعة تقع شرق روسيا وتشكل 75% من مستحتها، إذا تزيد على 13 مليون كيلومتر مربع وتقدر بنحو تسع مساحة السطح القاري للعالم، سكنتها مجموعة عرقية متنوعة منذ القديم الزمن، ارتبط اسم سيبيريا بـ "المساحة البيضاء من جليد اللامتناهي" وتعرف أيضا بحديقة روسيا الخلفية بانبارها أرض ثروات دفيئة تشكل 60% إلى 90% من اجمالي ثورات روسيا، للمزيد أيضا أنظر: مولا الموسوعة الثقافية، المرجع السابق، ص 586.

[3] طه عبد الناصر رمضان، إيفان الرهيب، ص 20.

الفصل الثاني:

اسهامات القيصر بطرس الأكبر

(1682م-1725م)

تمهيد:

المبحث الأول: الإصلاحات الداخلية لبطرس الأكبر (1682- 1725)

المطلب الأول: الاصلاحات السياسية

المطلب الثاني: الإصلاحات الاجتماعية

المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية

المطلب الرابع: الاصلاحات العسكرية

المطلب الخامس: الإصلاحات الدينية

المبحث الثاني: السياسة الخارجية التوسعية بطرس الأكبر (1682-1725)

المطلب الأول: الحرب مع الدولة العثمانية (البحر الأسود) (1695-1711)

المطلب الثاني: الحرب مع السويد (بحر البلطيق) (1707-1709)

المطلب الثالث: الحرب مع إيران (بحر القزوين) (1724)

تمهيد:

بطرس أليكسيفيش الملقب ببطرس الأول الأكبر أو بيتر العظيم هو وريث سلالة القياصرة رومانيف إبن القيصر الكسيس ميتاتيلوفيتشا من زوجته الثانية ناتاليا فازيتشكين، ولد في 30 ماي 1662م في موسكو بروسيا توفي ولده في عمره أربعة سنوات، تميز بطرس عن أخواته أشقاء بذكائه وصحته الجيدة، فتم نصبه مع أخيه الشقيق إيفان الخامس المريض كقيصر مشترك تحت وصاية والدته بسبب صغر سنه البالغ تسعة سنوات بعد وفاة أخو فيدرو الثالث عام 1682م[1]، إلا أن الحكم الفعلي كان في يد أخته صوفيا الشقيقة فكانت تطمح لحكم لوحدها فكرهت وحقدت على أخوها الشقيق بطرس، فبعثته إلى الأديرة قرية صغيرة في موسكو يعيشو فيها الأجانب من السفراء والتجار والباحثين من الهولنديين، الألمنيين، الاسكتلنديين، فعاش هناك بطرس مع والدته، فكانت له فرصة في صبي عمره احتكاك واختلاط بالحضارة الغربية الأوروبية، تعلم اللغات الأوروبية الهولندية الجرمانية علاوة على لغته الروسية، مبادئ العلوم والحساب، تميز بطرس بحبه لعلم والحرب فتوطدت علاقته بضابط اسكتلندي فتعلم الفنون الحربية والبرية[2]، هكذا تملك بطرس أفكار الفكر الأوروبي إلا أن بلغ من عمره 17 عاما أصبح رجل بالغ وله الحق الحكم باسمه وأدراك حقيقة الأمور أخته صوفيا أنها مطامع سياسية فقام بإنقلاب في القصر ضدها فإنتصر عليها وأضحى له الحكم منفرد من 1696م إلى 1725م[3].

---

[1] قبعين سليم، تاريخ أل رومانوف، ط2، المؤسسة الهندوي للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)، 2013، ص 314.

[2] محمد شعبان أيوب، معركة بروت.. يوم أسر العثمانيون أشهر قياصرة روسيا بطرس الأكبر، 2022، على الموقع:

https://www.aljazeera.net

تم الإطلاع عليه يوم 2025/04/12 على الساعة 30: 21.

[3] إميل أمين بطرس الأكبر قيصر العالم الأوروبي، على الموقع:

https://www.independentarabia.com

تم الإطلاع عليه يوم 04/ 2025/05 على الساعة 21:00.

اتصف بطرس بعدة صفات جعلت منه شخصية فريدة كضخامة جسمه وطوله الذي يزيد عن مترين، رغم ذلك كان كثير الحركة لا يمكن له البقاء بدون عمل، كان عادل في تصرفاته فلا يستلم سوى راتبه بصفته نقيبا في الجيش، ثم زاد في هذا الراتب بعد أن ترقى وهو قيصر، كان له رغبة في سيادة سياسية التحديث والتطوير لتحويل روسيا القيصرية إلى امبراطورية قادرة على منافسة القوة الأوروبية، وذلك بإقرار إصلاحات داخلية وتوسعات خارجية[1].

[1] يوغانوف، حياة بطرس الأكبر، دار الاتحاد السوفياتي للنشر، (د.ب.ن)، 1990، ص ص 2-20.

المبحث الأول: الإصلاحات الداخلية لبطرس الأكبر (1682- 1725)

المطلب الأول: الاصلاحات السياسية

ورث بطرس الحكم في روسيا في ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة جدا، واضطرابات السياسية فهو بحاجة إلى سلطة استثنائية فحكم البلاد حكما مطلقا غاية في صرامة، لم يسمع بأي نوع من الحرية، فأجرى تغيير في كيان إدارة الدولة بدلا مجلس الروما البويار القديم بمجلس الشيوخ، وهو الهيئة الحكومية العليا في بلاد مكون من حاشيته مكلف بمراقبة والتفتيش سائر الدوائر الدولة، تصرفات المجلس تكون تحت مراقبة القيصر مباشرة، قضى على نظام.

استحوذ النبلاء على الوظائف العامة، فأولى الكفاءات والعلم طريق الوصول إليها، فبالتالي منح فرصة لأبناء الطبقات المختلفة لمجتمع بتولي بعض المناصب المدنية والعسكرية، قسم البلاد إلى مقاطعات إدارية خاصة له مباشرة، أنشأ مدينة سان بطرسبرغ في عام 1703م على ضفاف نهر نيفا قرب بحر البلطيق فجعلها عاصمة لدولة، رمز لتحول روسيا إلى دولة حديثة[1].

المطلب الثاني: الإصلاحات الاجتماعية

عندما سافر بطرس إلى دول الأوروبية تأثر كثيرا بعاداتهم وتقاليدهم، فغير العديد من تقاليد روسيا وجلب أفكار جديدة إليهم، من مجمل التغيرات التي تطرأت على المجتمع الروسي نجد ما يلي:

[1] أبو العزيز سليمان، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للنشر، (د.ب.ن)، 1999، ص ص 231-232.

- اهتمام بالوضع المرأة في روسيا فقام بتحريرها من نطاق التقاليد التي كانت تقضي بعزلتها عن مجتمعات (الرجل) وجعلها تشارك في الحياة كالمرأة الغربية في مجالات العمل مثل: الطب والفنون.
- شجع تعليم الفتيات لرفع من مستوى التعليمي لهن.
- منع بطرس الأكبر على الروسيات بإرتداء الملابس الواسعة التي تعيق الحركة واستبدالها بملابس الغربية الضيقة والقصيرة[1].
- أولى اهتمام بالجانب التعليم قدرا واضحا فجعل التعليم الالزامي على أبناء النبلاء وشجعهم على الذهاب إلى جامعات أوروبا للدراسة وتدريب على المواضيع البحرية والحربية لأنهم سيكونون قادة الشعب.
- أنشأ عدة مدارس في مقطعات لتعليم أطفال الموظفين وأهالي، كما دعم التعليم العالي فأسس أكدميات وكليات العلمية لتدريس العلوم الحديثة المختلفة[2].
- إصلاحات في الحياة اليومية نظم حفلات واجتماعات لتعزيز الثقافة الاجتماعية الجديدة، كان يولم الولائم في بلاط الملكي ويدعو إليها الأشراف والنبلاء ويرغمهم على احضار نسائهم، كما أمرهم أيضا بأن يقموا في منازلهم ليالي السرور ويدعون إليها معارفهم وذلك للتعارف الاجتماعي.
- خصص في موسم الصيف أيام خاصة بالرياضة في الحدائق[3].

[1] جفري برون، ترجمة على المرزوقي، تاريخ أوروبا الحديث، (د. ط)، (د.ب.ن)، (د.س)، ص ص 313- 314.

[2] بسام عسلي، المرجع السابق، ص 63.

[3] قبعين، المرجع السابق، ص 63.

المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية

أما في المجال الاقتصادي فقد كانت اولى جهوداته إدخال تغيرات في جانب الصناعي والتجاري، لنهوض بواقع روسيا التي كانت على درجة كبيرة من التخلف في مختلف مجالات الحياة.

1.الميدان الصناعي:

أنشأ بطرس مصانع جديدة في مجالات متنوعة مثل مصانع الحديد وصلب النسيج والجلود، الأسلحة، دعم الحرف اليدوية والصناعات التقليدية من خلال إقامة معارض لصناعات المحلية، استغلال الموارد الطبيعية كاستخراج المعادن الذهب والفضة، مما ساهم زيادة الانتاج، تدريب العمال على التقنيات والأساليب الصناعية الحديثة[1]، كما فرض قيود على أصحاب المصانع فهم غير أحرار في تسيير مصانعهم، بل يسيرونهم وفق سياسة الحكومة فخلق نوع جديد من البرجوازية في المجتمع التي لم تكن موجودة في أوروبا إلا في روسيا القيصرية[2].

2. الميدان التجاري:

عنى بطرس بالتجارة بتقديم الحوافز للتجار والحرفيين لإنشاء المصانع، أسس شركات وطنية لإنتاجية من أجل جعل الميزان التجاري لصالح البلاد، أي الصادرات أكثر من الوردات، فتح موانئ جديدة لتسهيل التجارة الخارجية مع دول الأوروبية كميناء سانت بطرسيرغ، شق الطروق وبناء الجسور وسكك الحديدية لتسهيل حركة البضائع الداخلية بين المدن والأرياف، اهتم أيضا بأمور الزراعة فاستبدل الأدوات القديمة بأخرى حديثة[3].

[1] محمد مضفر الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص 85.

[2] مجهول، روسيا القيصرية، ص 34.

[3] مظهر محمد صالح، لمحات في التاريخ الاقتصادي لروسيا القيصرية، ص ص 1-5.

3. نظام الضرائب:

كان لبطرس طموحات هائلة جدا وزاد على ذلل حاجيات الجيش والدولة فاحتاج بطرس إلى المال الكثير لتلبية متطلبات المجتمع، بما أن الاقتصاد ضعيف فلم يكن أمامه سوى فرض الضرائب على سكان كطريقة أخرى لجمع المال في روسيا، فأوجبها على الشعب بشكل تعسفي، ومن بين هذه الضرائب نجد ضريبة الرغبة في الزواج وضريبة الأرض التي يعيش فيها الإنسان، ضريبة البيع خاصة أن هذه الضرائب كان محاصرة الفلاحين فكانوا هم الأكثر ضررا منها[1].

المطلب الرابع: الاصلاحات العسكرية

التفت اهتمام بطرس منذ بدء عهده بالجيش، خاصة بعد أن سافر إلى دول الأوروبية الأخرى ورأي بعينه النهضة التي كانت فيها، ومدى التطور الذي وصلت إليه وكان هدفه جعل روسيا دولة قوية ذات سيادة وهيبة، وهذا ألا يتمكن إلا بتأسيس جيش قوي يواكب التطورات الحاصلة في الجانب العسكري لدول الأوروبية، قام بعدة اصلاحات عسكرية منها قضى على نظام القديم الملشيات التقليدية، استبدله بتجنيد الإجباري الذي شمل جميع طبقات المجتمع مما زاد من عدد الجنوب الذي وصل مائة ألف جندي نضامي[2]، تحديث مستلزمات الجيوش باستيراد مختلف الأسلحة والمعدات العسكرية من أوروبا، الهولندا، السويد، كما أنشا مصانع محلية مختصة في صناعة الملابس وأمور الحربية، تدريب الجنود على أنماط الأوروبية ذلك باستقدام ضباط الأوروبيين لتدريب الجنود في روسيا على التكتيكات العسكرية الحديثة، وفي بعض الأحيان يقوم بارسال ضباط روسيا إلى أوروبا لتدريب في الأكاديميات العسكرية، ألغى احتكار النبلاء للوظائف العسكرية العليا لعدم امتلاكهم الخبرة في القتال والحروب، ألزم عقوبات

[1] عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر للنشر، (د.ب.ن)، (د.س)، ص 233.
[2] إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار الرياض للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 212.

شديدة توصل إلى أعمال عسيرة ومرهقة أو الموت الذين يرفضون التجنيد أو عدم تنفيذ الأوامر[1].

المطلب الخامس: الإصلاحات الدينية

عمل بطرس على احتكار قوة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية التي كانت لها ثروة كبيرة ونفوذ على رجال الدين، وتشكيل قوة كبيرة تدعيم التقاليد القديمة، خاصة أنها كانت تتحدى مجهوداته الكبيرة لإدخال الحضارة الغربية، فقرر أن يتحكم في اتجاهاتها فجعل الكنيسة جزء من دولة وذلك بإلغاء منصب البطريك واستبداله بمجلس الكنيسة يدير شؤونها تحت اشراف الحكومة[2]، ادخال تغيرات على الطقوس الدينية القديمة لتكون أكثر توافقا مع الأفكار الغربية، أبدى انفتاحا اتجاه ممارسة الأديان غير الأرثوذكسية، مثل البروتستانت واليهود، تخفيف القيود المفروضة عليها إذا لم تدخل في شؤون الداخلية السياسية لدولة، شجع على تعليم الدين بفرض على جميع القساوسة بأن يدرسون المواعظ والنصائح في الكنائس وتعليم الأطفال الصلاة لكي يتربوا على مخافة الله وطاعة القيصر[3]، كما أصدر العديد من القوانين الضيق من أملاك الكنيسة، فكان القيصر يتصرف بتسلط بعقارات الكنائس والأديرة إلى الملاجئ ويستخدمها لسد احتياجات الدولة، كما أمر بتحويل جزء من الأديرة إلى ملاجئ للجنود المسنين والمتقاعدين[4].

[1] بلسام عسيلي، بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص 87.

[2] إناس سعدي عبد الله، تاريخ الروسية من الوثنية إلى المسيحية، ط1، ص 112.

[3] ميفولفسكي، أسرار الآلهة والديانات، ط1، منشورات علاء الدين، دمشق، 2019، ص 486.

[4] فرنادسكي جورج، تاريخ روسيا، المرجع السابق، ص 139.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية التوسعية بطرس الأكبر (1682-1725)

بعد اعتلائه العرش بمدة قصيرة أخذ بطرس الأكبر على عاتقه المضي قدما ليخرج روسيا من الدمار المفروض عليها برا، نحو الاتصال بالعالم عبر التحر بحرا ولتحقيق هدفه ناقش بطرس مع خاصيته موضوع البحر وضرورته بالنسبة لروسيا، وقد اتفق الجميع على تلك الأهمية، فكانت رغبة السيطرة على البحر الأسود، بحر القزوين، بحر البلطيق، ولكن هذا لا يتحقق إلا بعد اصطدام بدول المسيطرة على هذه البحار بشن الحروب معها[1].

المطلب الأول: الحرب مع الدولة العثمانية (البحر الأسود) (1695-1711)

فقد كانت أولى جهوده مواجهة ضد الأتراك العثمانيين الذين كانوا يسيطرون على سواحل البحر الأسود، أدرك أن نهضة روسيا لا تكتمل إلا بوصول إلى المياه الدافئة، لتمكن باتصال بالعالم الغربي بسهولة، فاختلاف العقائد بين الإمبراطورية الروسية النصرانية والدولة العثمانية الإسلامية، نجح بطرس في إثارة المشاعر الدينية لشعب الرومي، سهل تجنيد المتطوعين بشن الحرب ضد الدولة العثمانية فقام بحملات عسكرية على أزوف العثمانية[2].

1. الحملة الأولى:

على أزوف سنة 1695م، جمع بطرس أكثر من ثلاث مئة ألف جندي أمام أزوف وشدد الحصار حول القلعة، شارك فيها جميع طبقات المجتمع الأغنياء، الفقراء، حتى رجال الدين بدفع مبالغ مالية لدعم هذه الحملة، بالرغم من هذه التجهيزات إلا أن بطرس باء بفشل واستطاع السلطان مصطفى الثاني رفع الحصار على مدينة أزوف[3].

---

[1] عبد الرؤوف سنو، العلاقات العثمانية الروسية سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ج1، تاريخ العرب والعالم، ع74، الجامعة العربية، بيروت، 1984، ص ص 48-60.

[2] أنمار عبد الجبار جاسم الدوري، العلاقات العثمانية الروسية 1828-1841م، ط1، دار سوريا للنشر، 2017، ص 22.

[3] العمري بن سعيد معاضة منصور، الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة 1709-1805م، ص 26.

2. الحملة الثانية:

سنة 1696م رغم الفشل الأول إلا أن بطرس لم يفقد الأمل، بدأ في تجهيز حملة أخرى في غضون العام نفسه، كانت تضم مئة ألف مقاتل تولى قيادتهم الجنرال الاسكتلندي كوردون وجنرال الفرنسي ليفورت، جلب رجال المدفعية المهندسين من هولندا والنمسا لبناء أسطول بحري في فترة وجيزة تضم 22 سفينة، وقد أثمرت جهود المبذولة باستلاء الجيش على أزوف وقلعة المحصنة التي كانت خاضعة لسيطرة العثمانية، الأمر الذي فتح الطريق لبطرس للوصول إلى البحر الأسود، حيث حول حصن أزوف إلى قاعدة بحرية أصبح لروسيا أسطول بحري يضم سفن عديدة، وتم ابحار السفينة الحربية (كريوست) في البحر الأسود الأول مرة في تاريخ روسيا[1].

- **حرب بروث 1123هـ/1711م:**

بعد احتلال أزوف أولى موطئ قدمت روسيا على البحر الأسود، زاد غرور بطرس وعزم روسيا وإصرارهم على السيطرة للاحتلال المضائق العثمانية في البحر الأسود، واضطرابات الداخلية التي أصبحت الدولة العثمانية بعد فقدانها لقلعة أزوف، كل هذه الظروف ساق للعثمانيين ضرورة مجابهة لخطر روسي، وتفطنت لسوء نية بطرس التوسعية وأن الحرب حتمية أمرا لا مفر له[2]، فأخذت تعد للحرب فأرسل سلطان العثماني فرمانات إلى سائر الإيالات العثمانية بشأن عمل الاستعداد الحربية اللازمة، كما أن بطرس لم يخفي عليه أمر الحرب فاعتبره الفرصة المثالية، سولت له نفسه التحرك في أخذ زمام المبادرة على الحرب، فقام بتكوين حلف صلبي بتحريض المسحيين الروملي (Rumedi)[3] على اعلان التمرد ضد الدولة

[1] عبد عويد فهد، **"البحر الأسود بين السيادة العثمانية وتهديدات الروسية في القرن 18"**، مجلة الآداب، العدد 20، جامعة الوسط، كلية التربية، (د.س)، ص 399.

[2] العمري بن سعيد معاضة منصور، المرجع السابق، ص 40.

[3] الروملي: الإسم العام الذي اطلق على الأراضي الدولة العثمانية في أوروبا، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 20.

العثمانية، فتحرك على البغدان ثم وصول إلى نهر الطونة، فوجئ وهو على ضفاف نهر بروث بتطويق الجيش وتفوقهم في جميع النواحي، أدى إلى انهزام الروسي لدرجة أنهم اصبحو يبحثون عن طعام والشراب، وفي ظل هذه الظروف طلب بطرس الصلح ووصل الطرفين إلى عقد إتفاقية بروث 1711م[1].

المطلب الثاني: الحرب مع السويد (بحر البلطيق) (1707-1709)

بعد أن حصلت روسيا على منفذ إلى البحر الأسود بحروبها مع الدولة العثمانية، اتجهت للاستلاء على الأراضي المتاخمة لبحر البلطيق[2] من السويد، لقد استغل بطرس العداء القائم بين بولندا الكاثوليكية والسويد فتحالف مع بولندا ودنمارك، صاحب هذا تحالف موت ملك السويد فاعتقدوا أن تحالفهم الثلاثي سيحقق الانتصار على السويد، بما أن الملك جديد أدولف(Adouphe Le grande)[3] شاب فهو حديث في الحكم، إلا أن هذا الشاب خيب ظنهم فكان عسكريا مدربا تقدم على رأس جيش بري وبحري عام 1707 فحاصر مدينة كبنهاجن الدنماركية وانتصر عليهم وأجبرهم على توقيع الصلح معه، ثم اجبر البلنديين على فك حصارهم (ريفا) السويدي ثم بعد ذلك سار الملاقاة بالجيش بطرس الأكبر على شاطئ الجنوبي من خليج بولندا فهناك شتت شمل الجيش الروسي[4]، فبطرس لم يفشل بعد هذه الهزيمة، بل تفرغ لإعادة تنظيم جيشه لتحقيق أهدافه في البحر البلطيق، وفي عام 1708م توجه ملك السويد لحرب الروس داخليا فقرر مهاجمتهم

---

[1] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط3، دار النشر، بيروت، 1994، ص 48.

بيروت: نهر ينبع من جبال الكربات الواقعة في الجنوب الغربي من روسيا الأوروبية يمر في أراضي الرومانية ليصب في نهر الطونة الدانوب للمزيد أنظر، بسام عسلي، فن الحروب الإسلامية في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 203.

[2] بحر البلطيق: بحر يسلكه المحيط الأطلسي وهو قليل العمق بصورة عامة وقليل الملوحة وقليل المد والجزر ويتعرض للتجلد ويتصل ببحر الشمال ويشكل بين السويد وفلندا وتقع على سواحله دول فلندا والاتحاد السوفياتي بولندا، ألمانيا، دنمارك والسويد. أنظر: مولا الموسوعة العربية، المرجع السابق، ص ص 34-36.

[3] أدولف (Adouphe le grande) من مواليد (1549-1732)، ملك سويد من 1700 إلى 1730 كان لديه من الكفاءة والذكاء يتناسب في طموحه فأعد التنظيم الجيس السويد، للمزيد أنظر بسام عسلي، فن الحروب الإسلامية في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 64.

[4] بلسام عسلي، القيصر بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص ص 34-36.

واحتلال عاصمتهم، لأن بطرس اتبع خطة ملائمة يحقق النصر بلا قتال، بحيث ينسحبون إلى داخل السهول الروسية الباردة جدا وهناك سيتكفل الشتاء بأعداء الروس حيث لا تجد جيوش السويد شيئا يأكلونه أو بيتا يحتمون به أو خشبة يتدفؤون بنارها، وبالتالي ستضيع في هذه السهول الفسيحة المتجمدة، وبعدما أنهك الجيش السويدي نهائيا هجم عليهم الجيش الروسي بقيادة بطرس عام 1709م في معركة يولتاو[1] التي ألحق فيها الروس هزيمة ساحقة بالسويديين وحقق ما كان يريده بطرس باستلائه على بعض المواقع على البحر البلطيق، منها انجريا وليفونيا الشرقية، وعندها شرع في تأسيس عاصمة جديدة وهي بطرسبورغ[2] عند منصب نهر النيفا[3].

المطلب الثالث: الحرب مع إيران (بحر القزوين) (1724)

فلم يمضى سوى عام واحد على انتهاء الحرب الروسية السويدية، توجهت طموحات بطرس نحو سواحل الجنوبية بحر قزوين[4]، فكان له هدف بتحويله إلى بحيرة روسية، ويرغب في إقامة تجارة مباشرة بين روسيا والهند عن طريق بحر قزوين مرورا بإيران، فتصادف هدف بطرس باوضاع فارس التي كانت تعاني من اضطرابات سياسية، والفتن قائمة في كل ناحية من بلاد، في ظل هذه الظروف تعرضت الحامية التجارية الروسية لهجوم، وقتل وسلب جميع أموالهم ومحصلهم من طرف جماعة اللزجية الفارسية، استغل بطرس هذا الوضع فأرسل مبعوث الروسي إلى إيران لجمع معلومات تفصيلية عن القوة العسكرية الإيرانية وعن أنهارها ومواصلتها، ويطلب تعويضا ماليا عما لحق من أضرار بعدد من التجار الروسي، إلا أن سلطان شاه حسن الفارسي رفض الاستجابة لطلب الروسي، وأن على القيصر حماية التجارة

[1] يولتاوا: منطقة تقع غرب مدينة فاركوف في أوكرانيا للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 757.

[2] علي شعيب، قيصر روسيا بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص ص 37-45.

[3] نهر نيفا: نهر يقع في غرب روسيا وهو الثالث أكبر أنهار روسيا، يلعب دورا مهما في اقتصاد سانت لويس بطرسبورغ بمثابة طريق نقل وتوفير المياه، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 757.

[4] بحر قزوين: بحرية مالحة بين أذربيجان وقازخستان وإيران على حدود التقلودية بين أوروبا وأسيا تنخفض على 28م عن سطح البحر، أكبر بحر داخلي في عالم، تصب فيه أنهار الفولغا وأرال ليس له منفذ، للمزيد انظر: مولا موسوعة العربية، المرجع السابق، ص 255.

بنفسه[1]، تحول هذا الموضوع إلى السبب المباشر لتنظيم الحملة العسكرية التي سميت بالحملة الفارسية، توجه بطرس إلى الفولجا على رأس جيش مؤلف من 33 ألف من المشاة و9 ألاف من الخيالة، حيث أبدى بطرس أن الغرض من هذه الحملة هو أن يستوطن ويساعد سلطان شاه حسن من انقاذ بلاده من الطاغية محمود، إلا أن الغرض الحقيقي السري هو طمع وزحف نحو أراضيها، فاستولت القوات الروسية على بندرا (BENDER)[2] وهي تتابع توسعها أكثر، فأدركت الدولة العثمانية أن الزحف على حساب الأراضي الإيرانية سيشكل خطر، فوصل مبعوث من قبل سلطان العثماني أن يتوقف هذا زحف، وأن يدخلوا في مفاوضات مع باب العالي لتسوية خلافات، واتفقا على اقتسام فارس في اتفاقية ووقعت في عام 1724م، تحصلت روسيا على سواحل بحر القزوين وبعض الولايات الفارسية الشمالية حتى نهر أراس[3].

تفوق بطرس في خطته بفتح الطريق تنفذ منه روسيا إلى بحر والخارج، وتثقيف روسيا ثقافة أوروبية وادخالها ضمن الدول الغربية، لقد استطاع بطرس الاخلال بالتوازن الأوروبي عندما فرض سيطرته العسكرية على بحر بلطيق، وقهر أكبر قدرة عسكرية في الغرب (السويد). لقد استطاع تجسيد طموح شعبه، وتمكن من ابراز أهداف أمته ونجح في تطلعات مواطنيه، واتبع بطرس سياسة أسلافه في الانفتاح على الغرب، غير أنه عمل باستمرار على دعم الأصالة الذاتية لأمته، نقل العلوم والمعارف إلى اللغة السلافية وتطوير هذه اللغة حتى تصبح سهلة المأخذ هدنة الروح برهانا ثابتا على ما تميز به القيصر بطرس الأكبر من كفاءة قيادة عالية[4].

---

[1] نخلة (قلفاط)، تاريخ بطرس الأكبر، ط1، دار بيروت للنشر، بيروت، 1970، ص ص 283-287.

[2] بندرا: كانت مدينة إسلامية تابعة لحكم العثماني المعروفة باسم بندريس وهي تابعة ليوم للاتحاد السوفياتي مولدافيا على نهر الدنيستر، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 139.

[3] مظهر أحمد كمال، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، د.ط، 1970- ص ص 7-20.

[4] بلسام عسلي، قيصر بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص 190.

الفصل الثالث:

اصلاحات كاترين الثانية (1762-1796)

تمهيد:

المبحث الأول: ارتقاء كاترين الثانية لحكم واصلاحتها الداخلية

المطلب الأول: اعتلاء كاترين لعرش (1762-1796)

المطلب الثاني: الإصلاحات الإدارية والقضائية

المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية والثقافية

المطلب الرابع: الاصلاحات الدينية

المبحث الثاني: الاصلاحات الخارجية لكاترين الثانية

المطلب الأول: تقسيم بولندا (1773)

المطلب الثاني: الحرب مع دولة العثمانية (1774)

المطلب الثالث: انعكاسات السياسة التوسعية لكاترين الثانية

تمهيد:

مرت روسيا القيصرية إثر وفاة قيصرها بطرس الأكبر 1725م بأزمة سياسية ليس لها مثيل في تاريخ روسيا القيصرية، إذا اجتاحت البلاد بفوضى فسادت العادات والتقاليد الأوروبية السلبية في المجتمع الروسي، بعد أن تناوب على العرش قياصرة ضعفاء لم يتمكنوا من التواصل مع عهد بطرس الأكبر، مما افسح مجال لكاترين ذي أصول أجنبية أن تولي الحكم بعد بطرس[1].

[1] مفرج مشعل طاهر، **"أوضاع الداخلية لروسيا 1725-1762"**، مجلة الأداب البحرة، العدد 56، جامعة البحرة، 2011، ص 1.

المبحث الأول: ارتقاء كاترين الثانية لحكم واصلاحتها الداخلية

المطلب الأول: اعتلاء كاترين لعرش (1762-1796)

كاترين الثانية أو كاترين العظيمة ولدت في 2 مايو 1729م باسم صوفيا في مملكة بروسيا التابعة لألمانيا واقترنت بيتر العظيم الروسي زوجة له، أصبحت فيما بعد امبراطورية روسيا، أعجب بطرس بمحاسن زوجته وما تتوافرها من القدرة والكفاءات، حيث كانت تقاسمه همومه وتقف إلى جانبه في مواطن الخطر، كان لها فضل كبير في انجائهه واسعاف جيشه عندما وقع في قبضة العثمانيين على ضفاف نهر بروث، فتوجهت كإمبراطورية بصورة رسمية، غير أن بطرس لم يلبث كثير أن جأته المنية فخلقت مشكلة صعبة أمام كاترين باغتنام الأحزاب العارضة التي كانت تطالب ببقاء روسيا على الحالة القديمة، ورفض كاترين كالقيصرة وخالفوها واتحدوا مع الأساقفة والأكريروس الرافضة للقيصرة[1].

وهكذا انقسمت الآراء في روسيا إلى قسمين متضادين الأول هم جماعة وبنين روسيا القديمة، كانوا يطالبون بتعيين حفيد بطرس الأكبر إبن اكسيس المحكوم عليه بالقتل على العرش روسيا البالغ من العمر الثانية عشر، وإن كان بدرجة القاصرة حيث يريدون انتخابه ويتم توصية عليه من أمراء الدولة، بينما القسم الثاني هم رجال الدين رفعهم بطرس إلى سلطة ودعمهم فكانوا له مخلصين، قد دعموا ووقفوا وراء كاترين الثانية لتوليها العرش، حيث أدركوا أن لا سلام لهم ولا لمراكزهم إلا بالمحافظة على الحالة الحاضرة، وبقاء رفيقة سيدهم وولي نعمتهم، بما أن المناصب العالية والقوة العسكرية لازالت في أيدهم فتكتلوا فيما بينهم شكلوا جبهة قوية، وأمكنوا من انهاء الصراع مؤقتا، وتنفيذ وصية بطرس بتعيين كاترين قيصرة على روسيا[2].

[1] بلسام عسلي، المرجع السابق، ص 90.

[2] نخلة قلفاظ، تاريخ روسيا الحديث، الجزء الثاني، دار النشر، بيروت، 1883، ص ص 15-20.

تميزت كاترين الثانية بعدة صفات حيث كانت ذكية ونشيطة وطموحة، وبالرغم أنها كانت من أصل ألماني إلا أنها كانت أقرب للقياصرة إلى قلوب الروسيين، وعرفت كيف تتعامل مع أبناء البلاد، كانت بسيطة في تعاملها مع الخدم، لم تعمر القيصرة فترة طويلة بعد وفاة زوجها إذ أنها توفيت سنة 1796م، ولم يمضي على توليها السلطة أكثر من عامين، ورغم قصر المدة إلا أنها ثبتت دعائم الحكم أقامه بطرس داخليا وخارجيا[1].

المطلب الثاني: الإصلاحات الإدارية والقضائية

كان التنظيم الإداري والقضائي لإمبراطورية روسيا من بين أعمال كاترين الثانية التي عملت على تعظيم السلطة المركزية وتقوية إدارة الحكومة، فقسمتها إلى مراكز إدارية صغيرة (أربعة وأربعون مركزا إداريا) عوض من الأقسام الثمانية التي اوجدها بطرس، عينت على هذه المراكز نبلاء اختارتهم بنفسها ومنحتهم حرية التسيير، وقضت على كل من رفض قرارتها ومن يحاول التمرد أو الحكم الذاتي، حيث زاد هذا التنظيم الكفاءات الإدارية وأكثر استجابة لمتطلبات السكان المحليين، استمر هذا التنظيم إلى نشوب ثورة أكتوبر[2].

كما أن استقرارها على العرش سلكت مسلك الحكمة والكمال، حيث أحسنت معاملة أحزابها وأضدادها، حيث أسست المجلس شورى السري الذي آلفته تحت رئساتها، كانت تطلع على كل أسرار الدولة تعرف إلزامتها واجراءات شعبها، كما فتحت مجلس المعارف سنة 1767م، وكان له أعضاء من العلماء عينت لهم المرتبات وفرضت لهم الأموال الكافية للسعي وراء الاكتشافات النافعة العلمية، الذي يهدف إلى تقديم فكرة عن الانضباط وفعالية النظام القضائي في روسيا كنظام متحرر أمام كل أوروبا، إلا أنها كانت شديدة في حكمها ألغت حق

[1] يحي جلال، تاريخ أوروبي الحديث والمعاصر، دار النشر، الاسكندرية، (د.س.ن)، ص 116.

[2] زينب عصمت راشد، تاريخ الأوروبي الحديث، الجزء الأول، دار النشر الفكر العربي، القاهرة، (د.س.ن)، ص 301.

رقيق الأرض للشكوى من سادتهم[1]، أنشأت العديد من المحاكم القضائية كل منها متخصصة في نظر قضايا الطبقات الاجتماعية المختلفة من النبلاء والبرجوازيين وفلاحين أحرار[2].

المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية والثقافية

عرفت فترة حكم كاترين الثانية بالفترة الذهبية في تاريخ روسيا رغم التحديات والاستنكارات التي واجهتها، إلا أنها اسهمت في مجالات إصلاح السياسي والنهضة الثقافية والاجتماعية، أصبحت روسيا قوة عظيمة تتمتع بتأثير كبير على الساحة الأوروبية والدولية، ومن بين بصمات التي تركتها في التاريخ الروسي نجد الاصلاح الاجتماعي، حيث أولت الاهتمام بتحسين الطبقات الدنيا في المجتمع بإنشاء مؤسسات كرعاية الفقراء والمحتاجين، تحسين حقوق الفلاحين بتقليل القيود المفروضة عليهم، اهتمت أيضا بالصناعة والزراعة لأنها من الأساسيات الاقتصاد، فقدمت قروض للمزرعين لدعم الانتاج الزراعي، تطورت تقنيات الزراعية[3]، كما اشتغلت أيضا بالثقافة الروسية بتشجيع على دراسة الأداب الروسي ونشر العلم والمعارف بين الروسيين، أنشأت المدارس والمؤسسات لتعليم، ومن أهم مجهودات كاترين أيضا تشجيع الهجرة لتوزيع السكان بشكل أفضل، جلبت عدد من الأجانب إلى المقاطعات الجنوبية في روسيا خاصة في مناطق الفولجا وأوكرانيا التي كانت تتميز بالخصوبة وقلة السكان، فأحضرت الفلاحين والمزارعين ومنحت لهم مستلزمات العمل، والمنازل وبهذه الطريقة أحدثت مائتي قرية ومدينة صغيرة[4].

[1] نخلة قلفاط، تاريخ روسيا الحديث، المرجع السابق، ص 20.

[2] يحي جلال، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص 116.

[3] بوفرين، التاريخ العسكري لروسيا القيصرية، ص 10.

[4] يحي جلال، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص 116.

المطلب الرابع: الاصلاحات الدينية

اتبعت كاترين الثانية العظمى خليفة بطرس الأكبر فيما يتعلق بتبعية الكنيسة للدولة والقضاء تماما على البطريكية، أصبحت الكنيسة هكذا مصلحة حكومية أي القيصر هو الذي يولي الشؤون الكنيسة الأرثودكسية عمليا، حيث تحدثت مع رجال الدين قائلتا "إن مصلحتكم هي إدارة الكنائس وإقامة الأسرار المقدسة، والكرازة بكلمة الإله والدفاع عن الدين وإقامة الصلوات والتزام بالصفة"، كما أن أملاك والثروات أساقفة الكنيسة ورجال الدين فهي ملك لدولة، حيث قام الأساقفة روستوف (Roustov Arisni) 1764م بسلب الأراضي التي كانت تابعة للكنيسة، وأرغمتهم أن يعيد ما استحوذ عليه واتبعت سائر العقوبات للقضاء على كل من يخالف ذلك، ومنها النفي سبيريا فتمرد الأساقفة روستوف أرسيني ميتزوفيتش الذي احتج ضد هذا الإجراء، قد جرد من منصبه وسجن حتى مات[1].

رغم محاولة الحد من نفوذ الكنيسة إلا أن كاترين دعمت التعليم الدين للكنائس الغير الأرثودكسية بإصلاح المدارس التابعة لها وإلغاء بعض الضرائب الدينية لتخفيف الأعباء على المؤمنين، وتقليل من توترات وخلافات بين الطائفات الدينية، كما قامت أيضا إصلاح الممارسات الدينية لجعلها أكثر توافقا مع التحديث[2].

[1] إيناس سعدي عبد الله، المرجع السابق، ص 117.

[2] فرنادسكي، تاريخ روسيا، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س)، ص 182.

المبحث الثاني: الاصلاحات الخارجية لكاترين الثانية

أما فيما يخص السياسة الخارجية فإن كاترين الثانية قد وصلت سياسة بطرس الأكبر الخاصة بتحطيم الجدار الذي كان يحجز روسيا عن أوروبا، متمثلا في تركيا وبولندا وأن تمد حدود روسيا إلى البحر المتوسط في الجنوب وإلى حدود الألمانية والنمسوية في الغرب.

المطلب الأول: تقسيم بولندا (1773)

تقع بولندا في شرق أوروبا يحدها من الشمال بحر بلطيق ومن شمال الشرقي إقليم كالنيفراد الروسي وليتوانيا، ومن الشرق بيلاروسيا وأوكرانيا، ظلت كقبيلة غامضة إلى أواخر القرن العاشر عندما انتحل ملكهم المسيحية أصبحت مملكة أوروبية، إلا أنها لم تأخذ بأساليب النهضة الأوروبية الحديثة، وكغيرها من مملك الأوروبية بسبب الاضطرابات السياسية والفوضى التي كانت تسود البلاد، حيث كان الملك ينتخب من قبل الأشراف لا ينفذ القرار إلا بعد موافقة الجميع، فعجزوا عن انشاء حكم قومي في البلاد، إذ كان يسكنها خليط من الأجناس غير البولندية، فهناك الروس والتشيك وألمانيا، خلافات المذهبية بين الكاثوليك والبروتستانت واليهود، إضافة إلى النزاع المستمر بين البولنديين وللتوانين، وافتقارها إلى الحدود الطبيعية تسهل في بناء التحصينات[1].

كل هذه الظروف كانت فرصة لجيرانها الروسيا التي تود توسيع حدودها على حساب أراضي البولوندية، فاتفقت مع النمسا وبروسيا لاقتسام الأراضي البولندية، فوقعت معاهدة بطرس بورج فيما بينهم سنة 1773م فاستولت روسيا على الجهة الغربية وصارت صاحبة السيادة في نهر الفستولا، وأخذت النمسا مقاطعة زيس بينما حازت روسيا ليفونيا البولندية وجزءا من لتوانيا، وهكذا ضاع من بولندا ثلث أراضيها وعرف هذا بالتقسيم الأول لبولندا، وبعد وفاة

[1] مفدي الزيدي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج1، ط3، دار النشر، الأردن، عمان، 2009، ص ص 521-522.

ملكها أغسطس الثالث فأراد البولنديين إصلاح نظام حكومتهم وجعلها ملكية وراثية بتعيين إبن أغسطس الثالث ستانسلاس لكزونيسكي (Stanislas)[1] ملكا على العرش، إلا أن روسيا والنمسا تخوفت عن تقوية بولندا لهذا الاصلاح، خاصة روسيا التي كانت تحكمها كاترين الثانية تسعى أن لا يكن لبولنديين على قدر من الوحدة واستقامة الأحوال، فعينت ستانسلاس ملكا على بولندا على مبدأ أن يقوم بخلق مشاكل داخل بولندا كما أمرته كاترين وأن لا يقوم بأي محاولة إصلاح بولندا، إلا أن الموطنين البولنديين استغاثوا بالباب العالي في احباط مساعي روسيا، فبذل كل جهوده ضدهم إلا أن روسيا والنمسا نجحت في تعيينه[2]، وادعت أنها لم تعد تحتمل هذه الاضطرابات في البلد المجاور لها لما فيها من خطر عليها، فقررت تقسيمها للمرة الثانية فتحصلت روسيا على شطر كبير من بولنديين، وأصبح تحت رعايتها نصف مليون من بولنديين، كما اجتازت روسيا على ثلاثة أجزاء من بولندا وبعد سنتين من ذلك تنزل ملك بولندي من عرشه مرغما، وقسمت بقايا المملكة بين بروسيا والنمسا والروسيا، وهكذا أزالت بولندا الموحدة من خريطة أوروبا عام 1790م واتسعت مساحة روسيا خاصة في منطقتي الغرب والجنوب وبداية التحرشات الروسية التركية بعد أن أصبحت روسيا على حدود تركيا بشكل مباشر[3].

المطلب الثاني: الحرب مع دولة العثمانية (1774)

بعد الانتصار الذي أحدثته روسيا برفضها الإنذار الذي أرسلته الدولة العثمانية بخروجها من بولندا، إلا أنها اصرت على تقسيمها، فنجحت في ذلك وأصبح أسطول الروسي يقوم برحلته حول القارة الأوروبية، فأحكمت كاترين خطة لواجهة الدولة العثمانية بأسطولين عبر البحرين

[1] انتخب ملك على بولندا عام 1763م بعد الحرب الورثة البولندية، ولد في 1696م وتوفي 1763م، للمزيد أنظر: مولا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 231.

[2] زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص 299.

[3] جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المزروفي، ج3، دار النشر، المملكة الأردونية الماشمية، 777م، ص ص 319-321.

الأسود والمتوسط، فمن ناحية البحر الأسود اعتمدت على الجيوش البرية بشكل أكبر للإثارة الاضطرابات ضد الدولة العثمانية بإتصال بالمتمردين في مصر وبلاد الشام، ومساعدة روسيا لحركات الانفعالية مثل حركة محمد علي الظاهر عمر، ما زاد الطين بلة في سوء العلقات بين الدولة العثمانية، إضافة الحاقها بعدة جرائم بحرية في القرم وبلغاريا والبحر الأبيض المتوسط[1]، فتأزمت الأوضاع بينهم خاصة بعد أن ساندت روسيا الحركات الانفصالية فاعتبرت الدولة العثمانية أن تدخل أجنبي في ولايتها يزعزع كيانها السياسي، رفضت كاترين وأصرت أنها لن تفاوض إلا مع السلطات نفسها دون تدخلات الخارجية، إلا أن الخسائر التي ارتكبتها روسيا دخل دولة عثمانية وقلة وعدة وارهاق للأنفس فرأت النمسا أن الحل الأنسب لكلا الطرفين هو الصلح باجتماعهم في 8 اغسطس سنة 1772م، لكنه لم يتم بسبب شروط روسيا المجحفة، فاستعد الطرفان للقتال، فكان محمد باشا قام بتطوير الجيش وانهزام الروس أمام الأتراك، بعد أن حاجزوهم في طروقات ونشب القتال بينهم[2].

انتهت هذه الانتصارات بوفاة سلطان مصطفى الثالث[3] في جانفي 1774، وتولى عبد الحميد الأول العرش وأمر قادة الجيش العثماني بالعمل والمثابرة لمقاومة العدو الروسي، لكن كاترين الثانية حظرت نفسها لقيادة حملة أخرى ضد الدولة العثمانية واسترجاع القسطنطينية وتعين ابنها عليها فنجحت باجتيازها نهر الطونة قاصدة مدينة وارنا[4] ليلتقيا مع الجيش العثماني في 14 جويلية 1774م، ألحقت هزيمة بالجيش العثماني، ما أثر في انهيار الروح المعنوية

[1] عبد اللطيف الصياغ، تاريخ الدولة العثمانية، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س)، ص 85.

[2] إسماعيل أحمد باغي، الدولة العثمانية في تاريخ الإسلامي الحديث، ط1، دار النشر مكتبة البيطات البياض العليا، (د.ب.ن)، 1997، ص ص 121-123.

[3] سلطان العثماني ولد 1717م وتوفي سنة 1773م، كانت فترة حكمه من 1757 إلى 1773م، ابن أحمد الثالث في عصره ووقعت معاهدة كوتشك كيانرجة، للمزيد أنظر: مولا، المرجع السابق، ص 3148.

[4] مدينة ورنا مدينة في بلغريا ومنائها على البحر الأسود ومن مراكز الاستجمام المشهورة بها صناعات المختلفة أهمها الأنسجة القطنية، للمزيد أنظر: مولا، الموسوعة العربية، المرجع السابق، ص 2347.

للعثمانيين وهذا ما دفع السلطان العثماني المبادرة بالصلح وطلب الهدنة وتوقيع معاهدة بينهما المعرفت بمعاهدة كوتشك كاينرجة ونجحت روسيا في توسيع روسيا وأصبح بإمكان الروس إيجاد سفير دائما لهم في إسطنبول[1].

المطلب الثالث: انعكاسات السياسة التوسعية لكاترين الثانية

إن السياسة التي اتبعتها كاترين الثانية خلال فترة حكمها من عام 1762 إلى عام 1796م أدت إلى العديد من النتائج على روسيا وعلى الدول الخارجية، خاصة الدولة العثمانية التي كانت تمثل من أساسيات سياستها التوسعية، حققت كاترين حلم بطرس الأكبر الذي لطالما حلم به بطرس بتوسع روسيا على حساب الأراضي العثمانية، وبلغت مرحلة التفوق أصبح البحر الأسود من ممتلكاتها وأمنت مرور سفنها التجارية عبر المضائق البحرية، حصلت على العديد من امتيازات التجارية بعد معاهدة كوتشك كيانرجة 1774م، أضحى لها الحق في الحصول على حماية أرثوذكسية في الدولة العثمانية[2]. إن معاهدة كوتشك كاينرجة[3] غيرت موازين القوى في العالم، حيث أصبحت الدولة العثمانية عاجزة عن تصدي القوى الأوروبية خاصة روسيا وأكدت ضعفها وانحدارها شيئا فشيئا.

إن كاترين الثانية من أعظم قياصرة روسيا، حيث أن في مرحلة حكمها ذاع صوتها في العالم لما حققته من الانتصارات[4].

[1] العمري بن سعيد معاضة منصور، الحرب والمعاهدات العثمانية، المرجع السابق، ص ص 156-158.

[2] مغدي الزيدي، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص ص 527-529.

[3] أنظر نموذج لهذه المعاهدة في الملحق رقم 07.

[4] العمري، المرجع السابق، ص 159.

خاتمة

من خلال دراسة لموضوع تأسيس روسيا الحديثة خلصت إلى جملة من النتائج يمكن إجماعها في النقاط التالية:

- خروج روسيا من العصور الوسطى المظلمة والحاقها بالركب الحضاري المتقدم ووصولها إلى مصاف الدول المتقدمة.
- كما أن اصلاحات قيصر بطرس الأكبر في الربع الأول من القرن الثامن عشر أهمية تقديمة كبيرة إذا تغلب على التأخر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي عنت منه روسيا قرون.
- رغم كل ما بذله بطرس من مجهدات وما جاء به من نظم دقيقة هناك داء وبيل لم يستطيع علاجه فقد عين الموظفين لتنفيذ نظمه وحدد وظائفهم إلا أنه لم يستطع وقف الفساد المستشري بين الموظفين.
- حقق بطرس الأكبر حلمه بخاضه حروب مع دولة العثمانية وانتهت بحصوله منفذ في البحر الأسود وخروج محو العالمية.
- لقد أثارت اصلاحات بطرس موجة عنيفة من المعارضة عند المحافظين والنبلاء ورجال الدين المتعلقين بالماضي وضعف نفوذهم بسبب هذه التغيرات، إلا أنه لم يتراجع عن أي عمل اصلاحي ولم يسمع للمعارضة أن تتجاوز حدوده فعاش القديم والجديد متعارضين أحيانا ومتحدين أحيانا أخرى.
- إذا ما تناولنا إصلاحات بطرس الأكبر بشكل علمي وموضوعي نجد أن الجانب السلبي والإيجابي يتعادلان فيها، فهو أرهق الفلاحين بالعمل، ومن جهة أخرى إصلاحاته قفزت بروسيا خطوات واسعة وكبيرة في طريق التقدم والقوة العسكرية والنفوذ السياسي في أوروبا.

- كما أن تولي كاترين الثانية حاكمة روسيا بعد وفاة زوجها بطرس كان لها الأثر الواضح على سير الأحداث، إذ كانت لها أثر كبير في توسيع حدود روسيا وجعلها دولة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب

1. أبو العزيز سليمان، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للنشر، (د.ب.ن)، 1999.
2. أحمد فاضل، الأديان في تاريخ شعوب العالم، د.ط، الأهالي للتوزيع والنشر والطباعة، دمشق، 1998.
3. أحمد محمد أحمد علي، جهود الأمير الأكبر إيفان الثالث في التخلص من التيار المغولي، الاشراف الأستاذ زبيدة عطا، كلية الأداب، جامعة بن يوسف، 2019.
4. أسامة عونان يحي، تاريخ روسيا من الوثنية إلى المسيحية، ط1، (د.ب.ن)، 2019.
5. إسلام محمد بن سعود، الموسوعة الجغرافية، ج14، منشورات جامعة الإمام للعالم الإسلامي، (د.ب.ن)، 1999.
6. إسماعيل أحمد باغي، الدولة العثمانية في تاريخ الإسلامي الحديث، ط1، دار النشر مكتبة البيطات البياض العليا، (د.ب.ن)، 1997.
7. إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار الرياض للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993.
8. إناس سعدي عبد الله، تاريخ الروسية من الوثنية إلى المسيحية، ط1، (د.ب.ن)، (د.س).
9. أنمار عبد الجبار جاسم الدوري، العلاقات العثمانية الروسية 1828-1841م، ط1، دار سوريا للنشر، سوريا، 2017.

10. بطرس بستاني، دائرة المعارف في العالم، د.ط، المكتب العربي الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
11. بيقانو وقيدو، تاريخ إتحاد السوفياتي، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س).
12. جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المزروفي، ج3، دار النشر، المملكة الأردونية الماشمية، 777م.
13. جفري برون، ترجمة على المرزوقي، تاريخ أوروبا الحديث، (د. ط)، (د.ب.ن)، (د.س).
14. جلال خشيب، أفاق الانتقال الديمقراطي في روسيا، دراسة نقدية في البنى التحتية، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س).
15. جون كين، الحياة الديمقراطية وموتها، د.ط، بيروت، (د.س.
16. حيدر ياسم، تاريخ الإمبراطورية الروسية، ط1، (د.ب.ن)، (د.س).
17. خير الدين باشا التونسي، أقوال المسالك في معرفة أحوال الممالك، د.ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2013.
18. زينب عصمت راشد، تاريخ الأوروبي الحديث، الجزء الأول، دار النشر الفكر العربي، القاهرة، (د.س).
19. سليم حسين، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، ج1، ط2، دار النشر، القاهرة، 1920.
20. عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر للنشر، (د.ب.ن)، (د.س).
21. عبد اللطيف الصياغ، تاريخ الدولة العثمانية، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س).

22. عبد الهادي عباس، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، وزارد الثقافة للنشر، (د.ب.ن)، 1999.
23. علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط3، دار النشر، بيروت، 1994.
24. علي شعيب، قيصر روسيا بطرس الأكبر، ط1، دار النشر، بيروت، 1995.
25. العمري بن سعيد معاضة منصور، الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة 1709-1805م.
26. فرنادسكي، تاريخ روسيا، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س).
27. قبعين سليم، تاريخ أل رومانوف، ط2، المؤسسة الهندوي للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)، 2013.
28. محمد سعيد عمران، المغول وأوروبا، دار العرفة الجامعية، 1997م.
29. محمد فريد وجدى، دائرة المعارف القرن العشرين، المملكة العربية السعودية للنشر والتوزيع، بيروت، 1917.
30. محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة الثورة الفرنسية، ط3، 2011.
31. مظهر أحمد كمال، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، د.ط، 1970.
32. مفدي الزيدي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج1، ط3، دار النشر، الأردن، عمان، 2009.
33. ميفولفسكي، أسرار الآلهة والديانات، ط1، منشورات علاء الدين، دمشق، 2019.
34. نخلة (قلفاط)، تاريخ بطرس الأكبر، ط1، دار بيروت للنشر، بيروت، 1970.
35. نخلة قلفاظ، تاريخ روسيا الحديث، الجزء الثاني، دار النشر، بيروت، 1883.

36. هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط3، دار المعارف لنشر، مصر، (د.س).
37. يحي جلال، تاريخ أوروبي الحديث والمعاصر، دار النشر، الاسكندرية، (د.س).
38. يوحنا أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ دهور، ط2، دار النشر، بيروت، 1905.
39. يوغانوف، حياة بطرس الأكبر، دار الاتحاد السوفياتي للنشر، (د.ب.ن)، 1990.

ثانيا: الموسوعات

40. طه عبد الناصر رمضان، روسيا في عهد إيفان الرابع، موسوعة الجزيرة.
41. عزيزة فوال بابتي، موسوعة الإعلام العرب والمسلمين.
42. مولا الموسوعة العربية المسيرة، ج3، دار النشر، دار أحياء التراث العربي، 1970.

ثالثا: المجالات

43. عبد الرؤوف سنو، "العلاقات العثمانية الروسية سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة"، مجلة تاريخ العرب والعالم، ج1، ، ع74، الجامعة العربية، بيروت، 1984.
44. عبد عويد فهد، "**البحر الأسود بين السيادة العثمانية وتهديدات الروسية في القرن 18**"، مجلة الآداب، العدد 20، جامعة الوسط، كلية التربية، (د.س).
45. مفرج مشعل طاهر، "**أوضاع الداخلية لروسيا 1725-1762**"، مجلة الأداب البحرة، العدد 56، جامعة البحرة، 2011.

رابعا: المواقع الإلكترونية

46. إميل أمين بطرس الأكبر قيصر العالم الأوروبي، على الموقع:
https://www.independentarabia.com

47. محمد شعبان أيوب، معركة بروت.. يوم أسر العثمانيون أشهر قياصرة روسيا بطرس الأكبر، 2022، على الموقع:

https://www.aljazeera.net

الملاحق

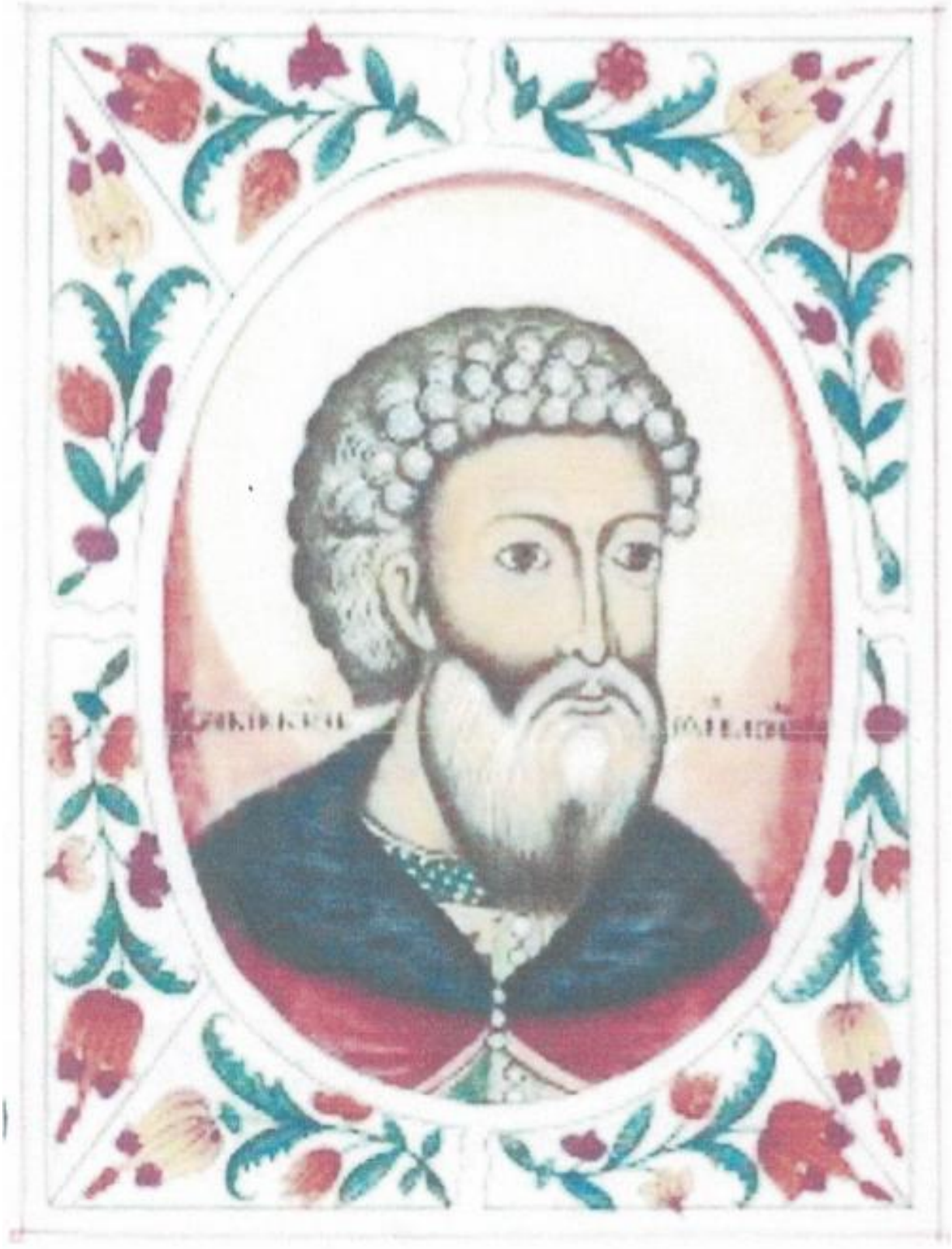

الملحق (01): إفيان الثالث

حيدر جاسم محمد، تاريخ الإمبراطورية الروسية، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س.ن)، ص 84

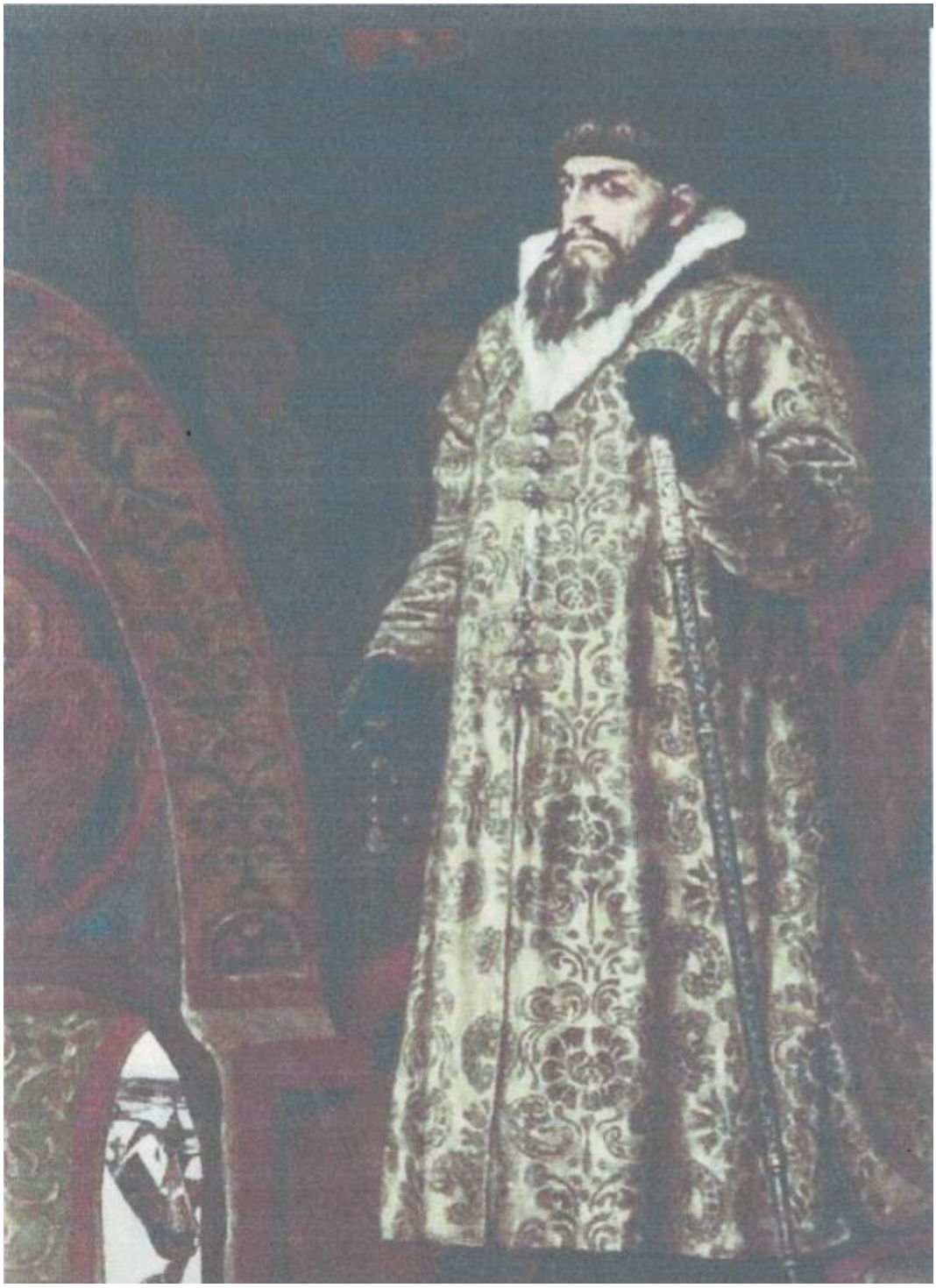

الملحق (02): إفيان الرابع

حيدر جاسم محمد، المرجع السابق، ص 84

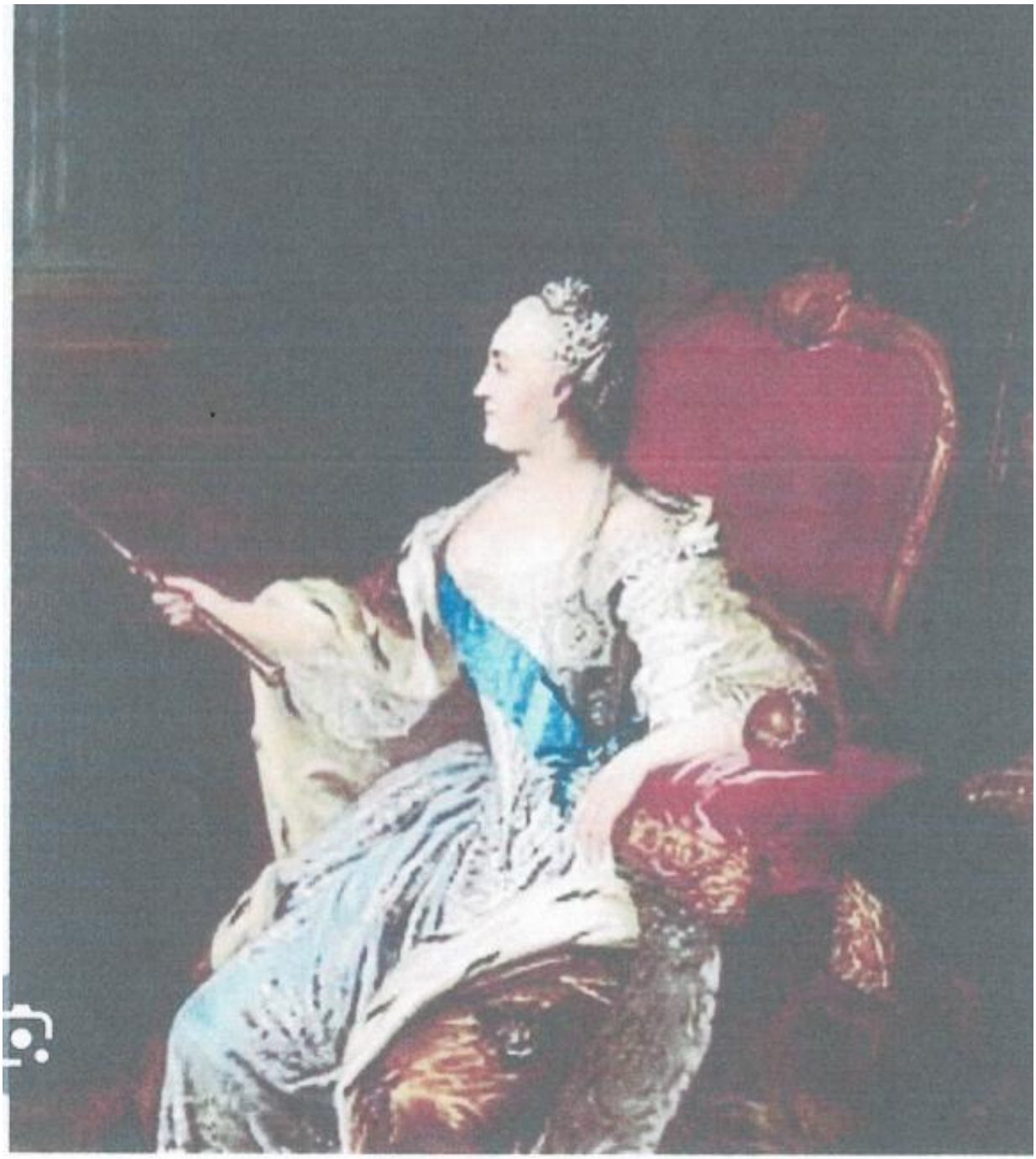

الملحق (03): صورة كاترين الثانية

حيدر جاسم محمد، المرجع السابق، ص 40

الملحق (04): صورة بطرس الأكبر وزوجته كاترين

بوغانوف حياة، بطرس الأكبر، (د.ط)، (د.ب.ن)، (د.س)، ص 419.

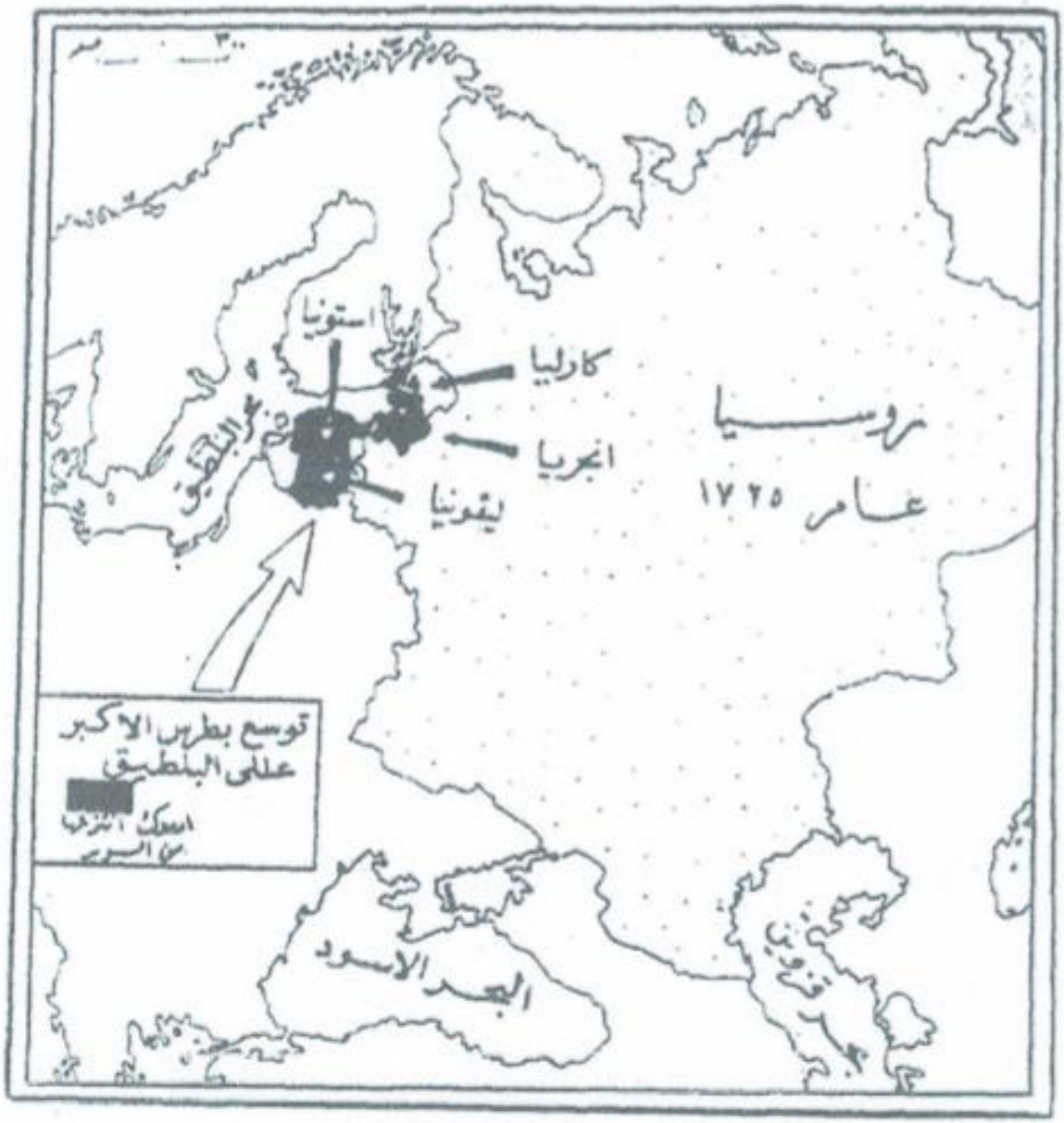

الملحق (05): توسيع بطرس الأكبر على البحر البلطيق

إسماعيل أحمد باغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، الملحقة العربية السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1995، ص 212.

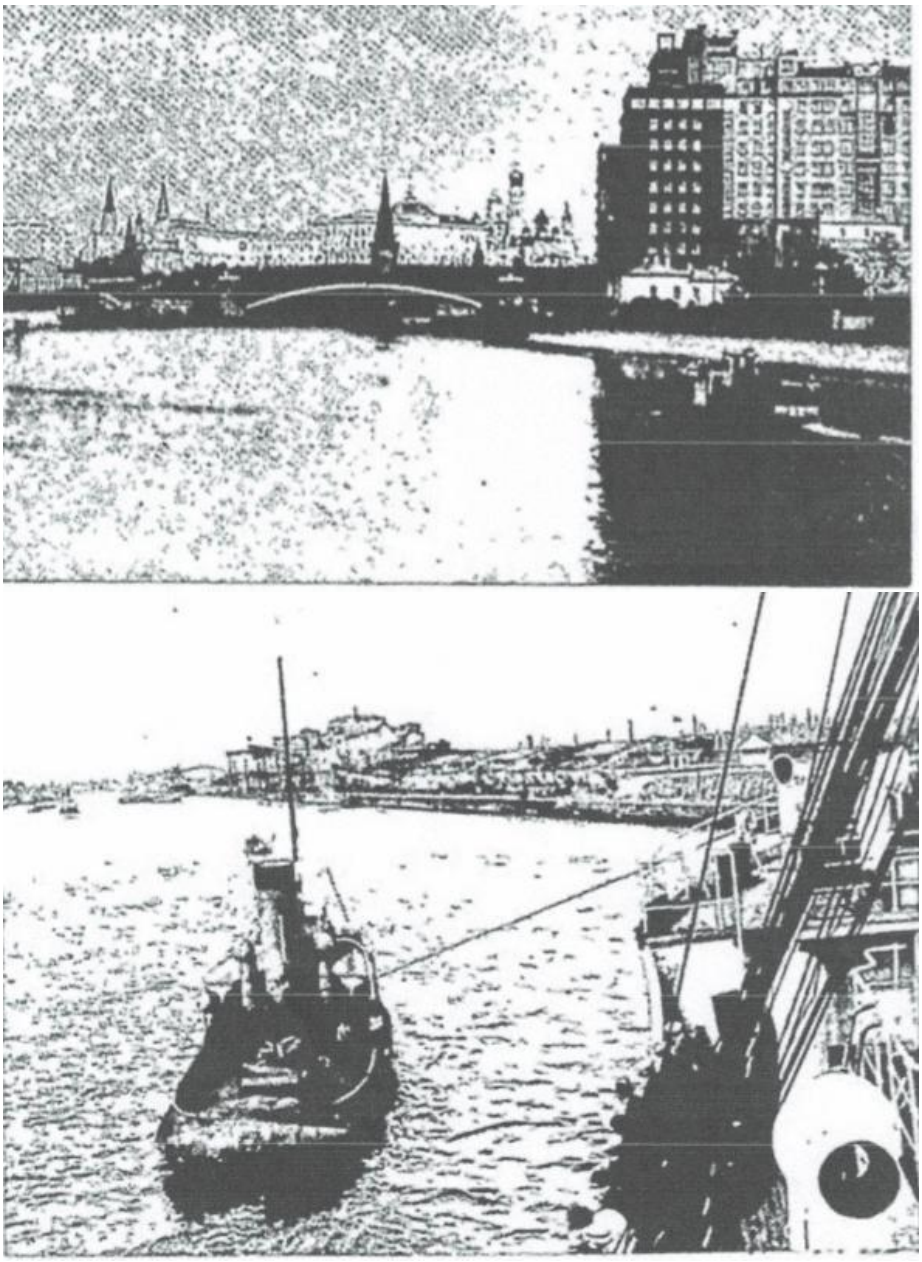

الملحق (06): نهر نيفا وميناء لينيغرادوقد شيده بطرس الأكبر

باسم عسيلي، حياة بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص 73.

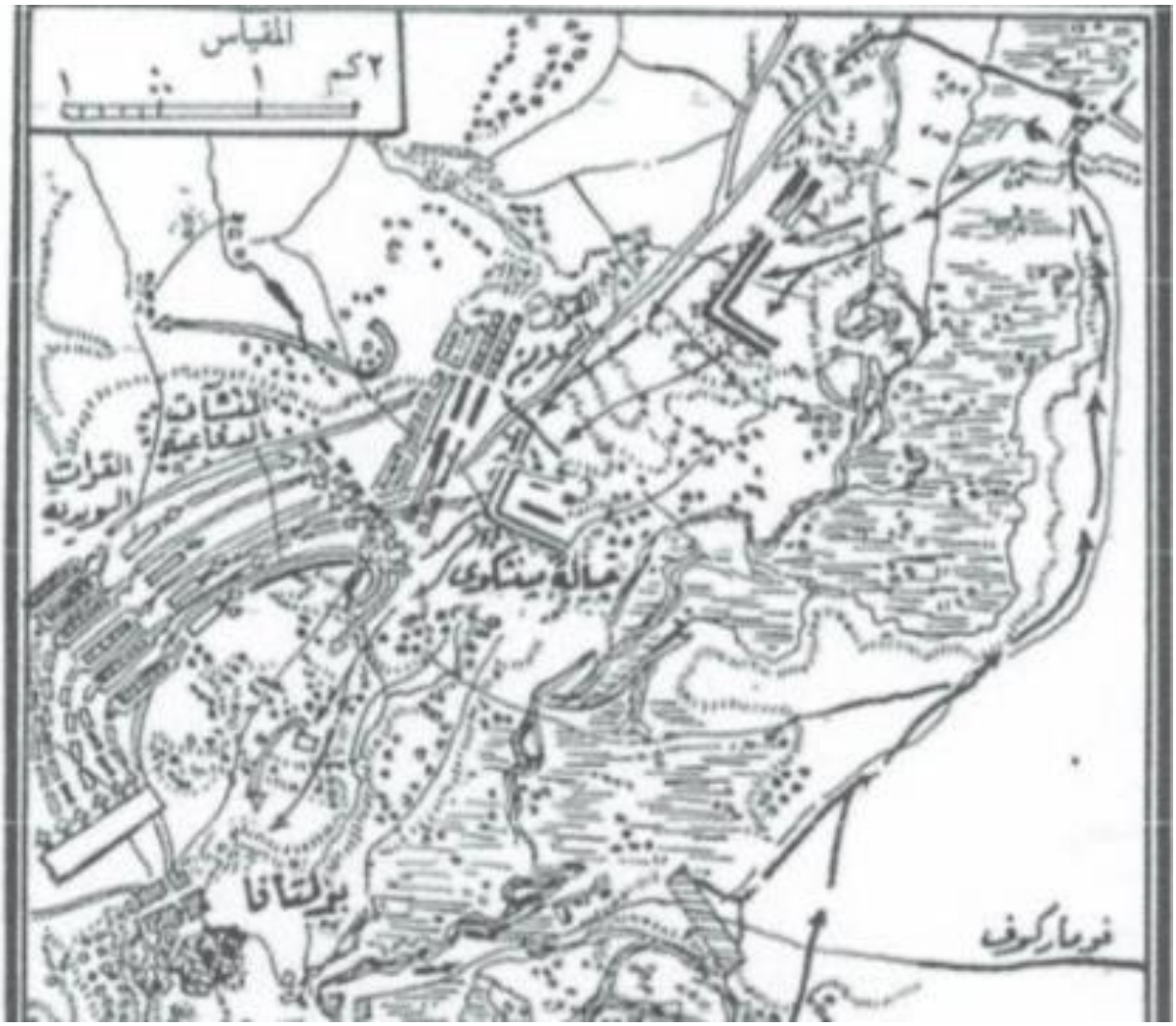

الملحق (07):موقع معركة بولتافا (بحر بلطيثق)

باسم عسيلي، حياة بطرس الأكبر، المرجع السابق، ص 57.

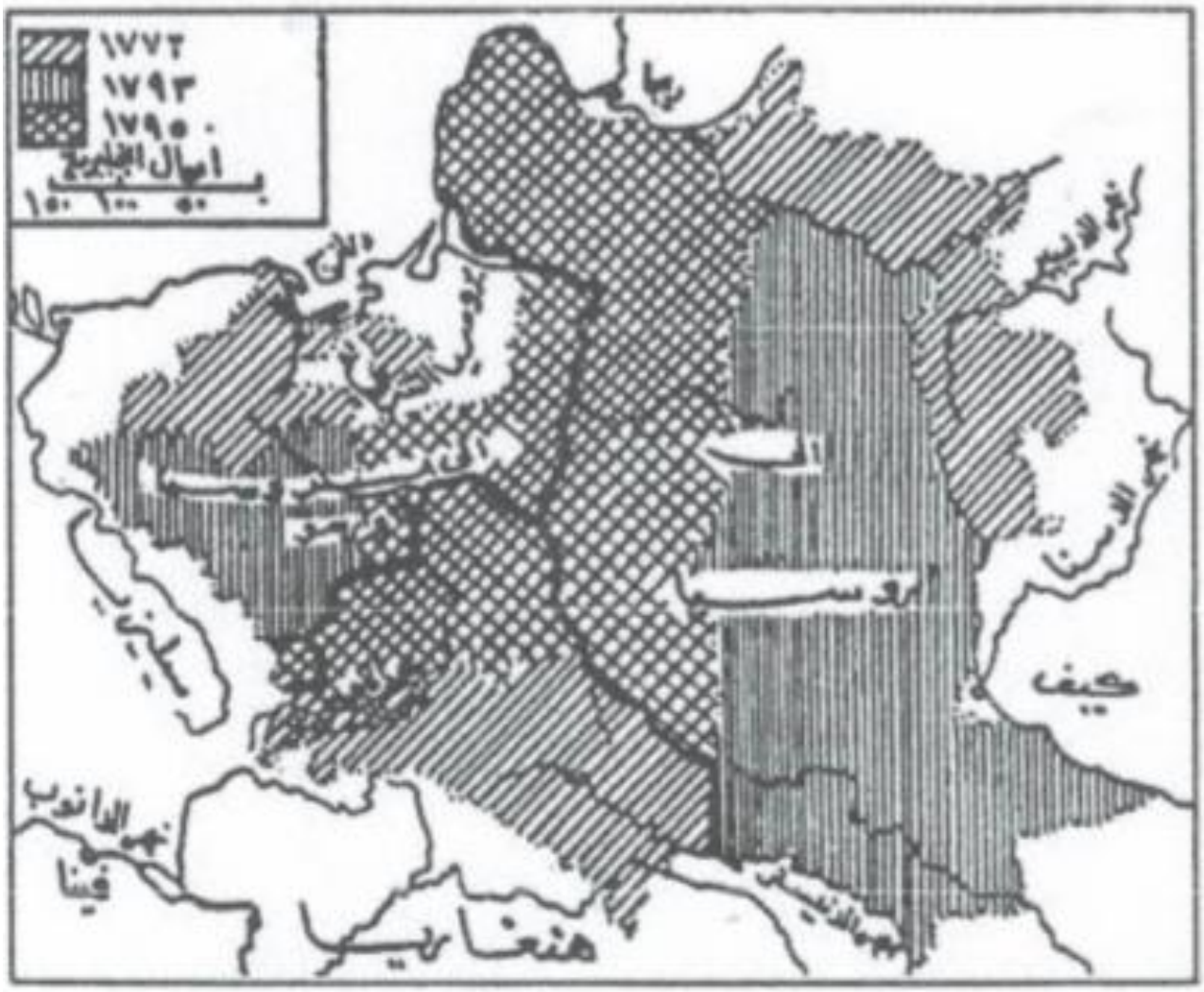

الملحق (08): تقسيم بولندا

إسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق، ص 217.

كوجك كينارجي، والتي نصت عام ١٧٧٤ على ما يأتي:

تخلت الدولة العثمانية عن أزوف وشبه جزيرة القرم وممتلكاتها الأخرى الواقعة على سواحل البحر الأسود الشمالية، عدا الاقلاق والبغدان، وأصحبت روسيا أقوى دولة على البحر الأسود.

نالت روسيا حق الملاحة التجارية في المياه التركية، فاتصلت بالبحر المتوسط عن طريق المضائق.

اعترفت الدولة العثمانية لروسيا بالحق في حماية بعض كنائس اسطنبول واشتهرت بأنها حامية الطوائف المسيحية في الإمبراطورية العثمانية، مما ساعد على التعرض المستمر للشؤون العثمانية.

وفي عام ١٧٩٢ تم الاتفاق بين روسيا والدولة العثمانية على أن يكون نهر الدنيستر هو الحد الفاصل بين تخومهما، وضمت دوقية كورلاند إلى روسيا بعد خلع حاكمها عام ١٧٩٥ ، وجعلت كاترين من روسيا دولة عظمى بحق.

وخلف كاترين نجلها بولص (١٧٩٩-١٨٠١)، وكان متقلباً لا يستقر على رأي على العكس من والدته، وألغى بعض إصلاحاتها الداخلية، وأدى إلى فوضى في الإدارة الحكومية، ثم قتل عام (١٨٠١(٢٠).

الملحق (09): معاهدة كوتشك كيانرجي

زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.س)، ص 299.

وصية بطرس الأكبر

أولا: يجب ان تشتبك روسيا دائماً بحرب مع احدى الدول المجاورة لها، أو غيرها، حتى يبقى جندها في حالة استعداد دائم للقتال، وحتى تكون له باستمرار الأولوية في خوض الحروب.

ثانياً : عليها ان تجتذب إليها مشاهير الرجال من الاجانب، لاسيما رجال الحرب، وان تحبب إليهم الإقامة فيها ، والدخول في خدمتها.

ثالثاً: يجب ألا تدع فرصة اختلاف الدول الأوربية بعضها ببعض، ان تفوتها، بدون ان تتدخل في امورها، لاسيما ألمانيا جارتها .

رابعاً: يجب على معتمدي الروسية – سفرالها وقناصلها – ان يدسوا الفتن في بلاط الممالك الأجنبية وبين مجالس شوراها – أجهزتها التشريعية – مما يعود نفعه على روسيا. وأن لا ينتخب لعرش بولونيا إلا من كان موالياً لروسيا، ومخلصاً في خدمة مصالحها.

خامسا: يجب علينا ان نقتطع ما يمكن اقتطاعه من اسوج (السويد) ونجعل عداوة دائمة بينها وبين الدانمرك.

سادساً: ليختر أمراء روسيا وملوكها زوجات لهم من ألمانيا. ولينظر في الوسائل التي يمكن لها تطوير العلاقات معها، وزيادة التقرب منها.

سابعاً: يجب ملاطفة الانكليز لأجل مصالحنا التجارية، فهي تحتاج أشجارنا لبناء سفنها، ونحن نحتاج إلى مصنوعاتها. فتتبادل الفائدة، وتروج التجارة.

ثامناً: يجب توسيع الحدود الروسية في كل اتجاه، للوصول شمالاً إلى بحر البلطيق، وجنوباً إلى البحر الأبيض المتوسط.

تاسعاً: يجب على روسيا العمل باستمرار الاحتلال القسطنطينية، لأن من يمتلكها، يسيطر على العالم. كما يجب السيطرة على تجارة الهند، لأن اكتسابها يغيبنا عن ذهب الانكليز.

الملحق (10): وصية بطرس الأكبر

باسم عسيلي، المرجع السابق، ص 120.

الملحق (11): تمثال بطرس الأكبر في موسكو

زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص 301.

الفهرس

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة 01

1. الإشكالية 01

2. دواعي اختيار الموضوع 02

3. المنهج المتبع في الدراسة.....02

4. أهمية الدراسة 02

5. خطة البحث 02

6.الدراسات السابقة.....03

7.أهم المصادر والمراجع 04

8. صعوبات الدراسة 04

الفصل الأول:

أوضاع روسيا قبل عهد بطرس الأكبر (1682/ 1725)

تمهيد.....05

المبحث الأول: أوضاع روسيا قبل الإصلاحات بطرس الأكبر (1682- 1725) 07

المطلب الأول: الأوضاع السياسية 07

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية.....10

المطلب الثالث: الأوضاع الدينية 12

المبحث الثاني: التوسعات الخارجية لإيفان الرابع.....14
المطلب الأول: التوسع في الجهة الشرقية فتح قازان.....14
المطلب الثاني: التوسع في الجهة الغربية حرب لغونيا (LIGWANIA).....16
المطلب الثالث: إراث إيفان الرابع.....17

الفصل الثاني:

اسهامات القيصر بطرس الأكبر (1682م-1725م)

تمهيد.....19
المبحث الأول: الإصلاحات الداخلية لبطرس الأكبر (1682- 1725) 21
المطلب الأول: الاصلاحات السياسية 21
المطلب الثاني: الإصلاحات الاجتماعية.....21
المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية 23
1.الميدان الصناعي 23
2. الميدان التجاري 23
3. نظام الضرائب 24
المطلب الرابع: الاصلاحات العسكرية 24
المطلب الخامس: الإصلاحات الدينية 25
المبحث الثاني: السياسة الخارجية التوسعية بطرس الأكبر (1682-1725).....26
المطلب الأول: الحرب مع الدولة العثمانية (البحر الأسود) (1695-1711) 26
1. الحملة الأولى.....26
2. الحملة الثانية 27

المطلب الثاني: الحرب مع السويد (بحر البلطيق) (1707–1709).....28
المطلب الثالث: الحرب مع إيران (بحر القزوين) (1724) 29

الفصل الثالث:

اصلاحات كاترين الثانية (1762–1796)

تمهيد.....31
المبحث الأول: ارتقاء كاترين الثانية لحكم واصلاحتها الداخلية 32
المطلب الأول: اعتلاء كاترين لعرش (1762–1796) 32
المطلب الثاني: الإصلاحات الإدارية والقضائية.....33
المطلب الثالث: الاصلاحات الاقتصادية والثقافية 34
المطلب الرابع: الاصلاحات الدينية.....35
المبحث الثاني: الاصلاحات الخارجية لكاترين الثانية 36
المطلب الأول: تقسيم بولندا (1773) 36
المطلب الثاني: الحرب مع دولة العثمانية (1774).....37
المطلب الثالث: انعكاسات السياسة التوسعية لكاترين الثانية 39
خاتمة 40
قائمة المصادر والمراجع
الملاحق
الفهرس

ملخص:

تناولت هذه المذكرة تأسيس روسيا الحديثة في عهد بطرس الأكبر وكاترينة الثانية مسار تحول روسيا من دولة متخلفة إلى قوة عظمى من خلال إصلاحات الكبرى التي قام بها بطرس الأكبر مست جميع قطاع الدول من تعليم، إدارة، الجيش، الاقتصاد، وتمكن أيضا من فتح العزلة على روسيا من خلال الاستفادة من التقدم الحضاري لأوروبا، اما كاترينة الثانية أضافت إليها سياسة توسعية عززت مكانة روسيا الإقليمية والدولية منها أصبحت روسيا لها دور أساسي في السياسة الأوروبية.

يمكن القول أن عهد بطرس الأكبر وكاترينة الثانية كانت الأساس الحقيقي لتأسيس روسيا الحديثة (1682 – 1796) وممهدة الطريق لنهضتها في القرون اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: بطرس الأكبر، تأسيس روسيا الحديثة، كاترينة الثانية.

Résumé :

Cet article examine la fondation de la Russie moderne sous les règnes de Pierre le Grand et de Catherine II. Il analyse la transformation de la Russie, pays arriéré, en grande puissance grâce aux réformes majeures mises en œuvre par Pierre le Grand, qui ont touché tous les secteurs du pays, notamment l'éducation, l'administration, l'armée et l'économie. Pierre a également réussi à rompre l'isolement de la Russie en tirant parti du progrès culturel de l'Europe. Catherine II, quant à elle, a mené une politique expansionniste qui a renforcé le statut régional et international de la Russie, lui permettant de jouer un rôle clé dans la politique européenne. On peut affirmer que le règne de Pierre le Grand et de Catherine II a véritablement fondé la Russie moderne (1682-1796) et a ouvert la voie à sa renaissance au cours des siècles suivants.

Mots-clés : Pierre le Grand, fondation de la Russie moderne, Catherine II